HNSJ Humanitarian & Natural Sciences Journal
ISSN: (e) 2709-0833
www.hnjournal.net
مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية
مجلة علمية محكمة (التصنيف: NSP)
معامل التأثير العربي للعام 2020 = 0.44

عنوان البحث

مُقاربة معرفية ومنهجية لدراسة وحفظ تاريخ وادي نون ومُحيطه القبلي

عبد اللطيف أمزيغ[1]

[1] باحث في التاريخ الجهوي للجنوب المغربي، وقضايا وإشكالات منظومة التربية والتكوين.
جامعة ابن طفيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية – القنيطرة، المملكة المغربية.
بريد الكتروني: Amazigh10abdellatif@gmail.com

HNSJ, 2022, 3(2); https://doi.org/10.53796/hnsj3220

تاريخ النشر: 2022/02/01م تاريخ القبول: 2022/01/22م

المستخلص

تعترض العديد من الباحثين والدارسين للتاريخ جملة من الصعوبات والعراقيل التي تحول دون توظيف النص التاريخي واستثماره، مهما كان نوعه أو موضوعه، توظيفا علميا وموضوعيا، ويُعزى ذلك إلى غياب أو عدم التمكن من منهجية علمية موحدة، فضلا عن اختلاف الرؤى والمناهج والمقاربات، وتباين توجهات ومبادئ المدارس التاريخية. ومن تم تأتي هذه المقالة العلمية، بوصفها اسهاما أوليا ومرجعا يمكن العودة إليه لدراسة النصوص التاريخية لمنطقة وادي نون ومحيطها القبلي، والكشف عن الأهداف أو الأغراض التاريخية الكامنة وراءها.

وبناء عليه، ابتدأ هذا المقال في معالجة هذه الإشكالية العلمية، بتحديد المجال الجغرافي المعني بدراسة نصوصه التاريخية، والمتمثل في منطقة وادي نون ومحيطها القبلي بالجنوب المغربي، ثم انتقل بعدها إلى تناول المقاربة المعرفية والمنهجية المعتمدة في دراسة هذه النصوص التاريخية للمجال نفسه، مع التأكيد على أهمية تفعيل واستثمار مختلف الآليات الفكرية والوسائل التقنية الكفيلة بالحفاظ على الوثائق والنصوص باختلافها، قصد تثمينها وإعادة توظيفها في البحث التاريخي، ويُختتم المقال العلمي بخلاصة عامة، مدعومة بجملة من التوصيات العملية والأكاديمية.

الكلمات المفتاحية: النص التاريخي، وادي نون، المقاربة المنهجية والمعرفية، حفظ الوثائق التاريخية، التاريخ الجهوي بالمغرب.

RESEARCH TITLE

A Cognitive and Methodological Approach to the Study and Preservation of the History of Oued Noun and Its Tribal Surroundings

Abdul Latif Amazigh[1]

[1] Researcher in Regional History of Southern Morocco, and in Issues and Challenges of the Education and Training System.
Ibn Tofail University, Faculty of Letters and Human Sciences – Kenitra, Kingdom of Morocco.
Email: Amazigh10abdellatif@gmail.com

HNSJ, 2022, 3(2); https://doi.org/10.53796/hnsj3220

Published at 01/02/2022 **Accepted at 22/01/2021**

Abstract

Many researchers and students of history face a range of difficulties and obstacles that hinder the scientific and objective use and exploitation of historical texts, regardless of their type or subject matter. This is largely attributed to the absence of, or insufficient mastery of, a unified scientific methodology, in addition to the diversity of perspectives, methods, and approaches, as well as the divergence of orientations and principles among historical schools. Accordingly, this scholarly article is presented as a preliminary contribution and a reference that can be consulted for the study of historical texts related to the Oued Noun region and its tribal surroundings, with the aim of uncovering the underlying historical objectives or purposes embedded within them.

On this basis, the article begins by addressing this scientific issue through defining the geographical scope concerned with the study of its historical texts, namely the Oued Noun region and its tribal environment in southern Morocco. It then proceeds to examine the cognitive and methodological approach adopted in the study of these historical texts, while emphasizing the importance of activating and utilizing various intellectual tools and technical means capable of preserving documents and texts in their different forms, in order to enhance their value and reintegrate them into historical research. The article concludes with a general summary, supported by a set of practical and academic recommendations.

Key Words: Historical Text, Oued Noun, Cognitive and Methodological Approach, Preservation of Historical Documents, Regional History in Morocco.

تقديـــم:

يعد النص أو الوثيقة المادة الأولية لدراسة علم التاريخ، ومن تم، فإن تحليل بنياته ومفاهيمه، يقتضي التسلح بمنهجية علمية تضبطها مجموعة من الشروط والضوابط والمقاربات، وتهدف الوصول إلى تعريف المعرفة التاريخية وتفسيرها وتحليلها وتركيبها، كما تسعى هذه المنهجية أيضا إلى إكساب تلك المعرفة قيمتها العلمية من خلال وضعها في سياقها التاريخي الصحيح، وذلك عبر تدقيق الأسباب والنتائج، وربطها بمختلف الظروف والأمكنة والأزمنة التي يرتبط بها الحدث أو الأحداث التاريخية موضوع الدراسة أو البحث الأكاديمي.

انطلاقا من ذلك، تبرز أهمية هذه المقالة العلمية في مقاربة هذه الإشكالية من خلال نصوص منطقة وادي نون ومحيطها القبلي، في إطار السعي إلى تثمين التاريخ الجهوي بالمغرب وإعادة كتابته، وذلك عبر توظيف الوثيقة التاريخية بشكل علمي يستند إلى المنهج التاريخي، الذي ينفتح بدوره على مناهج ومعارف الحقول المعرفية الأخرى. ويهدف هذا التوجه إلى الإسهام في إبراز وإثبات تاريخ وهوية المجتمع المغربي من خلال نموذج هذه المنطقة الصحراوية، ولن يتحقق ذلك، إلا بالابتعاد عن أنماط التعريف أو التفسير أو التركيب أو التأويل غير العلمي، التي تخدم إيديولوجيات معينة، ولا سيما الإيديولوجيات الاستعمارية التي ظلت سائدة إلى وقت قريب.

وبنـاء عليـه، جرى دراسة إشكالية هذا المقال العلمي من خلال مجموعة من المحاور الهامة، يمكن اجمالها على النحو التالـي:

- ✓ **التحديد الجغرافي لمنطقة وادي نون بالجنوب المغربي؛**
- ✓ **مفهوم النص التاريخي؛**
- ✓ **المقاربة المنهجية والمعرفية لدراسة النصوص التاريخية لمنطقة وادي نون ومحيطها القبلـي؛**
- ✓ **آليات الحفاظ على النصوص التاريخية وتثمينها؛**

انطلقت معالجة هذه الإشكالية من الاطلاع على مجموعة من الدراسات والأبحاث العلمية، ومن تتبع وفهم مختلف التحديات والعراقيل التي واجهت العديد من الباحثين في دراسة النص التاريخي بمنطقة وادي نون بالجنوب المغربي، وقد أفضت هذه المعالجة إلى محاولة تقديم وبناء مقاربة معرفية ومنهجية لدراسة نص هذا المجال الصحراوي ومحيطه القبلي، إلى جانب اقتراح جملة من التوصيات والمقترحات الرامية إلى حفظ النصوص التاريخية والإسهام في تطويرها، وذلك قصد إعادة كتابة التاريخ الجهوي للمغرب بصفة عامة، وتاريخ جهة الصحراء بصفة خاصة.

أ) – التحديـد الجغرافـي لمنطقـة وادي نـون ومحيطها القبلـي:

لقد تناولت مجموعة من الكتابات الأجنبية[1] جغرافية هذه المنطقة الصحراوية، ومن بينها ما ورد لدى الباحثة دو بيكودو أوديت (De Pigaudeau Odette) ، التي ربطت هذا المجال بالمعطيات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وفي الوقت ذاته، أدرجته ضمن جغرافية أكثر إتساعا واختلافا وتنوعا، وهي الجغرافية المسماة "**تراب أو مجال البيضان**"، إذ تشير إلى أن هذا المجال "يمتد عبر عدة أقاليم، انطلاقا من وادي نون وطرفاية وتافيلالت والساقية الحمراء ووادي الذهب وصولا إلى موريتانيا وغرب صحراء مالي"[2].

غير أن هذا التحديد الجغرافي لوادي نون، يختلف اختلافا كبيرا عما هو متعارف عليه لدى الباحثين، ولا سيما في

---

[1] – Frédéric de La Chapelle, **Les Tekna du Sud Marocain, Etude Géographique, Historique, Sociologique Publications du: Comite de L'Afrique Française,** Paris 1934, p:09.

✓ Monteil Vincent , **Notes Sur Les Tekna**, Editions Larose, 11 Rue Victore _Cousin 11 paris (Ve) ,1948, p: 22.

[2] – De Pigaudeau Odette, **Art Et Coutumes Des Maures, HESPÉRIS TAMUDA**, Publié AVEC LE Concours DU CENTRE Universitaire DE LA RECHERCHE Scientifique , VOL. IX. – Fascicule 1, 22. RUE, DU Béare, RABAT , 1968, P: 136.

الفترة الأخيرة، حيث وردت في هذا الإطار عدة روايات تاريخية متعددة، شفوية ومكتوبة، يمكن رصدها على النحو التالي:

✓ الرواية الأولى: مفادها أن بعض شيوخ المنطقة عندما أرادوا تحديد موقع وادي نون، فقد قصدوا بذلك مجموع المنطقة التابعة إداريا لإقليم أكلميم الحالي[3].

✓ الرواية الثانية[4]: "وادي نون هو ما يقع من سفوح درن (جبال الأطلس الكبير التي تمتد من غرب مدينة أكادير على المحيط الأطلسي في اتجاه الشمال الشرقي) الجنوبية إلى حدود الصحراء؛ من وادي نون وقبائله من تكنة والركيبات وما إليها إلى حدود منطقة طاطا شرقا ومنطقة سكتانة (سكتانة هي قبيلة تنتمي لإتحادية قبائل مصمودة الأمازيغية بالأطلس الكبير)".

✓ الرواية الثالثة: تقول: «يحد المنطقة طرف من بلاد سوس شمالا، ومن الجنوب قبيلة أزوافيط، ومن الشرق جبال تيرت وسيدي ينسف، حيث تنتشر بعض القبائل المستقلة حتى وادي درعة، أما من الجهة الغربية، جزء من بلاد تكنة المحاذي لساحل المحيط»[5].

أما تناولنا للمصادر والمراجع التاريخية، فإن ذلك يختلف باختلاف تصنيفاتها:

✓ "نون منطقة مسكونة على شاطئ المحيط، ليس بها سوى قرى عامرة بناس فقراء، تقع بين نوميديا وليبيا، لكن القسم الأعظم منها ينتسب إلى ليبيا، لا ينبت فيها إلا الشعير وقليل من التمر الرديء. يرتدي أهل هذه البلاد لباسا سيئا، فقراء، لأن الأعراب يستغلونهم ويستنزفونهم، ويذهب بعضهم للإتجار في مملكة ولاتة"[6].

✓ «بلاد نول يحدها شمالا السفح الجنوبي الغربي للأطلس الصغير، جنوبا الساقية الحمراء، غربا المحيط الأطلسي، شرقا واد تمنارت حتى معذر سلام بوادي درعة»[7].

✓ ورد لدى الباحث عبد العزيز بن عبد الله حين حديثه عن مجال وادي نون، أنه «يقع في قلب تكنة، أهله يعيشون في القصور لهم نعجة وريادة قليلة، منهم أيت موسى وأزوافيط وأيت حماد»[8].

✓ «حسب أغلبية المصادر الكلاسيكية لتاريخ بلاد المغرب، تمتد منطقة وادنون أو نول من إقليم أكادير، ويمر بها وادنون الذي ينبع من الجبال الواقعة خلف قرية الايدالة (تايدالت)، ويصب في المحيط الأطلسي»[9].

✓ يُعرف أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، منطقة وادي نون، بأنها مجال عمارة جزولة ولمطة، وأن نهرها يصب في المحيط، وهي في أول الصحراء[10].

---

[3] – رواية شفهية متداولة بين الفينة والأخرى لدى سكان منطقة وادي نون ومحيطها القبلي.

[4] – تُعدّ هذه الرواية الشفوية من أكثر الروايات شيوعًا في المنطقة، والمتداولة لدى الشيوخ والأهالي..

[5] – **نفسه**.

[6] – الوزان الحسن، **وصف إفريقيا**، ترجمة محمد حجي وأحمد الأخضر، الجزء 2، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، الطبعة الثانية، 1983 م، الهامش رقم 81، ص: 108.

[7] – ناعمي مصطفى، **الصحراء من خلال بلاد تكنة، تاريخ العلاقات التجارية والسياسية**، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، مطبعة عكاظ، الرباط، 1988م، ص: 12.

[8] – بن عبد الله، عبد العزيز، **الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، معلمة الصحراء**، ملحق 01، الرباط، مطبعة فضالة، صفر 1396-فبراير 1976م، ص: 124.

[9] – المراني محمد، **الدور السياسي والاقتصادي لمنطقة وادي نون في القرن الخامس الهجري**، من أعمال ندوة واحات وادنون بوابة الصحراء المغربية، أيام 9 و10 و11 نونبر 1995م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة الهلال العربية للطباعة والنشر بالرباط، الطبعة الأولى، أكادير، 1999م، ص: 18.

[10] – البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، **المسالك والممالك، نشر دار الغرب الإسلامي**، 1992 م، الجزء الثاني، ص: 853.

✓ وبخصوص التحديد الجغرافي الأوربي، نجد على سبيل المثال لا الحصر، جواكين كاتيل (Joachim Gatell) يقدر المساحة الإجمالية لسهل وادنون بـ 144 كيلومتر مربع[11]، وغير هذا التحديد الجغرافي، فإن الكتابات الأجنبية لا تتحدث سوى عن مجال أو "بلاد تكنة" بالجنوب المغربي.

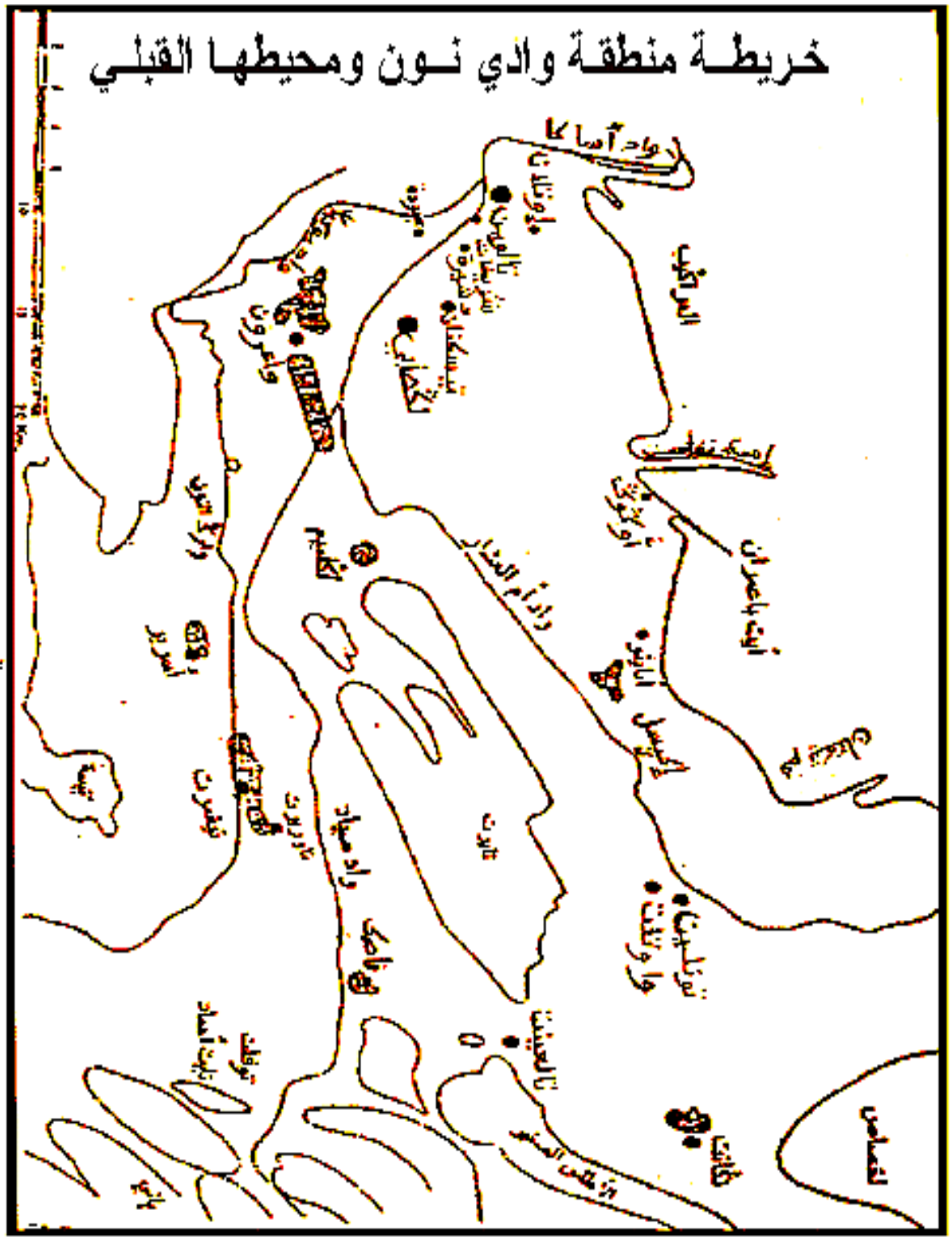

المصدر: Monteil Vincent, **Notes sur les Tekna**, Editions larose, 11 rue victore _ cousin 11, paris (Ve), 1948, p. 32.

بتصرف

[11] – **Joachim Gatell**, **L'OUED_NOUN Et Le Tekna A La Cote Occidentale Du Maroc**. IN: B.S.G.P, Octobre 1869, p:**157**.

JOACHIM GATELL: جغرافي فرنسي، زار حاضرة أكلميم في منطقة وادي نون خلال النصف الثاني من القرن 19م، واستقر عند زعيمها بيروك بن عبد الله بن سالم، تجول بأحيائها واتصل بعدد كبير من سكانها.

ب) – مفهوم النص التاريخي:

قبل الخوض في المقاربة المعرفية والمنهجية لدراسة النص التاريخي بوادي نون، باختلاف أنواعه وأشكاله، يجدر بنا التوقف عند مفهومه على نحو أشمل وأدق، حيث يُمكن تعريفه بوصفه بنية أصلية[12] مرتبطة بالواقع المعيش في الماضي، البعيد منه أو القريب، وتحمل دلالات أنتجتها الذات الجماعية أو الذات الفردية، سواء على المستويات الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو العسكرية أو الفكرية أو الدينية. وهي بنية ذات دلالات قابلة للفهم والتحليل والتفسير والتركيب، متى ما أمكن تفكيك كافة رموزها وألفاظها، وإرجاعها إلى معانيها الأصلية، بما يتيح الإخبار بمختلف أحداث الماضي البشري والاستفادة منها بشكل أو بآخر، دون الوقوع في أوصاف أو تأويلات خاطئة.

انطلاقا من هذا المعنى، يكتسي النص التاريخي مفهوما آخر وأهمية بالغة، تتجلى في قدرته على تنمية مهارات وكفايات كل من المتعلم[13] والباحث المؤرخ على حد سواء، سواء على مستوى دقة الملاحظة والوصف والمقارنة، أو على مستوى النقد والتمحيص والتحقيق والتدقيق، ويُضاف إلى ذلك، بعد آخر لا يقل أهمية، يتمثل في إسهام النص التاريخي، باختلاف أنواعه وأشكاله، في تحقيق تنمية ثقافية وعلمية، وتطوير الفكر، بل وأحيانا في تغيير المواقف والآراء السابقة وتصحيحها بشأن هذا الحدث أو ذاك، وذلك تبعا للمستجدات التاريخية التي تُسفر عنها الأبحاث الميدانية والشفهية، وما ينتج عن مقارنة ودراسة مختلف النصوص التاريخية، سواء تلك التي سبق تناولها بالدراسة والتحليل، أو غيرها مما يظهر بين الفينة والأخرى، كالوثائق والسجلات والمراسلات والعقود وغيرها، والتي تتطلب بدورها معالجة علمية دقيقة، قصد استنتاج واستخلاص المزيد من المعطيات التاريخية الأكاديمية.

ت) – المقاربة المعرفية والمنهجية لدراسة النص التاريخي في منطقة وادي نون ومحيطها القبلي:

لن ندعي في هذا المقال العلمي، تقديم مقاربة معرفية ومنهجية شاملة ومتكاملة لدراسة النص التاريخي بمنطقة وادي نون أو غيرها، بقدر ما نسعى إلى ترسيخ جملة من المبادئ العملية والعلمية على المستوى التاريخي، وذلك من خلال ايراد بعض الأمثلة والنماذج النصية التاريخية التي نراها مناسبة لمعالجة هذا الموضوع، هذا في ظل اختلاف الرؤى والتوجهات والمناهج ومبادئ وضوابط المدارس التاريخية. **وعليه**، نحاول وضع القارئ أمام مجمل الظروف العامة المحيطة بدراسة النص التاريخي، وما يعتريها من إشكالات وصعوبات مختلفة، فضلا عن تقديم بعض الحلول الكفيلة بتجاوز هذه الإشكالية التي تعترض الباحث في مختلف الأزمنة والسياقات.

في هذا الإطار العلمي، أسهم انفتاح التاريخ على علوم مساعدة متعددة، مثل الأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا وعلوم اللغة والاقتصاد وغيرها، على تطور المقاربة المعرفية والمنهجية المعتمدة في دراسة النصوص التاريخية باختلاف فتراتها

---

[12] – لا يمكن دراسة التاريخ بدقة في ظل تغييب تام للوثيقة الأصلية، لكونها، في العديد من الحالات، بمثابة مادة أولية تُتيح الفهم والتحليل والتفسير، باعتبارها عنصرا علميا مهما يسمح بقراءة جُملة من المبررات التي تُفسر أفعال وسلوكات ونوايا الفاعلين في الماضي. وإضافة إلى ذلك، لابد من الاستعانة بالعلوم المساعدة للتاريخ، قصد فهم مُختلف البنيات وتحليلها وتركيبها، أو بالأحرى، إنتاج المعرفة التاريخية التي ستُتناول لاحقا من زوايا متعددة، بما يُفضي إلى تحقيق التاريخ وإعادة كتابته عبر بناء سرد مُتناسق ومُنسجم ينضبط للقواعد العلمية التاريخية.

[13] – يُحقق النص التاريخي، بمختلف أشكاله وأنواعه، فائدة تواصلية مُهمة جدا بين المتعلمين أنفسهم من جهة أولى، ومن جهة ثانية بينهم وبين المدرس أو المؤرخ الباحث. ومن تجليات هذا التواصل النصي على المستوى التاريخي، تبادل المعارف والمصادر المرتبطة بها، ناهيك عن فائدة تواصلية أخرى، تتمثل في ربط الماضي بالحاضر والاتعاظ منه، كما يُفضي ذلك إلى نتيجة مهمة، تكمن في الاقتناع بسلبية المعرفة الجاهزة ذات المواقف النهائية، وهو ما ينبذه النص التاريخي الذي يدعوا إلى بذل الجهد من أجل تحصيل مزيد من المعارف والمواقف المُتجددة، قصد نقدها أو مراجعتها .

وبناء على ذلك، يكون الأستاذ الباحث أو المؤرخ، مُلزما، في مثل هذه الحالات العلمية، بنهج مقاربة ديداكتيكية مُناسبة على المستوى التاريخي، تُمكن المتعلمين من تحقيق هذه الفوائد مُجتمعة.

الزمنية وأنواعها، **سواء كانت** وثائق، اتفاقيات، معاهدات، سجلات تجارية، كتابات قديمة مرسومة أو منقوشة أو مكتوبة على الجلود أو الصكوك أو الأحجار أو الخشب[14]، مراسلات، كتب الرحالة والانساب والتراجم، عقود البيع والشراء والزواج وغيرهـــا.

وقد ساهم هذا الانفتاح أيضا في إعادة النظر في هذه المقاربة العلمية، نظرا للمستجدات المتصلة بالظواهر والأحداث التاريخية، حيث يُنظر إليها اليوم باعتبارها متحركة في الزمان والمكان، عكس ما كان يُتصور أو يُدرس سابقا، فقد أدى ظهور وثائق ودراسات جديدة إلى الانتقال من التعامل مع التاريخ بالطريقة التقليدية المعتمدة على سرد الأحداث كما وردت في الوثائق المكتوبة أو الروايات الشفوية، والاكتفاء بما يدور حولها من تأويلات، إلى التعامل معه بشكل علمي وموضوعي، يُمكن الباحث المؤرخ من التدقيق والتحقيق في الحدث من جوانب متعددة ومهمة، ماديـة كانت، أو معنويـة.

بمعنى آخر، الاهتمام بدراسة مختلف البنيات التاريخية وتحليلها وفهم علاقتها وتفاعلها مع العلوم المختلفة، والمؤثرات الطبيعية والبشرية، بهدف الوصول إلى الحقيقة النسبية، أو المطلقة إذا أمكن، خدمة للمجتمع وتصحيح مساره التاريخي. ومن خلال هذا المنهج أو المقاربة العلمية، يُمكن بناء الحاضر والمستقبل على أسس موضوعية، والانتقال بالحدث من نطاقه المحلي الضيق (المجال الخاص) إلى نطاق أوسع (المجال العام)، مما يبرز الترابط والتأثير والتأثر الحاصل بين مختلف البنى التي تشكل مسار الحياة الإنسانية عبر التاريخ.

انطلاقا من ذلك، فإن اعتماد المقاربة المعرفية والمنهجية في دراسة النص التاريخي بمجال وادي نون ومحيطه القبلي، بوصفه مجالا شهد تحولات بنيوية عميقة بمرور الزمن، يطرح إشكاليات مُتعددة، من أبرزها ما يرتبط **بمضمون الحدث التاريخي ذاتـه**، حيث يبرز اختلاف واضح بين ما كُتب عنه ضمن الدراسات الكولونيالية التي عملت إلى تأويل الأحداث، وتسخيرها لخدمة المشروع الاستعماري على مستويات متعددة[15]، وبين ما ورد في الوثائق والمصادر والمراجع

---

[14] – نورد في هذا الصدد مثال استعانة علم التاريخ بالكربون 14 **(C14)** لتقدير عمر المواد العضوية، مثل الخشب والجلود والعديد من العينات القديمة والأثرية؛ وهو ما يعني، مُحاولة الحصول على تاريخ تقريبي للنصوص المنقوشة أو المكتوبة على الأخشاب أو الجلود وغيرها، وبالتالي السعي إلى فهم مزيد من المعطيات والمعلومات الخاصة بكل فترة تاريخية على حدة، سواء على المستوى الاجتماعي أو الاقتصادي ... .

[15] – راجع بخصوص بعض هذه الكتابات الأجنبية التي عملت على "**تـأويـل**" الأحداث والوقائع، خدمة للأهداف الاستعمارية في عموم مناطق الجنوب المغربي، بما فيها منطقة وادي نون ومحيطها القبلي:

- ✓ Barbier Maurice, **Voyages Et Explorations Au Sahara Occidental Au XIX^{e} Siècle,** Editions L'Harmattan, 7, Rue De L'école-polytechnique 75005, Paris, 1985, p : 110 - 111 -114 - 323 etc.
- ✓ Panet Leopold, **Première Exploration Du Sahara Occidental, Relation D'un Voyage Du Sénégal Au Maroc, Le Livre Africain,** Paris, 1968.
- ✓ Alonso, Del Barrio José Enrique, **Las tribus del sahara,** El Aaiun : Servicio de publicaciones del gobierno general de sahara, 1973.
- ✓ Clemente, Manuel Mulero, **Los territorios españoles del Sahara y sus grupos nómadas,** Las palmas, 1945.

وهو المعنى نفسه الذي عبر عنه بصيغة أخرى الباحث جرمان عياش في سياق انتقاده للكتابات التاريخية الأجنبية، إذ يقول:

"أما فيما يتعلق بأمانة الانعكاس، فلا يمكن أن يوجد إلا انطلاقا من مادة الوثائق، تلك المادة التي حددنا طبيعتها بأن قلنا أنها وليدة الظروف بذاتها. لكن بمجرد ما يقع استعمال هذه المادة لإعداد تقرير يستوعبها ويهضمها، إلا ويحتمل أن تتعرض لتشويه في طبيعتها ومعناها، اللهم إلا إذا كان الشخص الذي يوظفها مؤرخا يتسم بالموضوعية. على أن القنصل أو السفير قلما يلتزم بهذه الموضوعية عند تحريره لتقرير معين. وغالبا ما يقدم الأمور بشكل يمكن معه استثمار أو يؤدي إلى تعديل سياسة حكومته في الاتجاه الذي يريده. وإذا أضفنا أن تقاريره لا ترتكز بصفة عامة، باستثناء ما يتعلق ببعض المجالات المحدودة، على وثائق بما تحمل الكلمة من معنى، وإنما على أقوال مخبريه، وأدركنا كثرة الحواجز والعوامل المشوهة التي قد تنتصب بين بصرهم وبين الموضوع. وهذا ما يفسر كيفية أن المقارنة مع الصورة الجوية لا يمكن أن تؤخذ حرفيا على الرغم من أنها تبدو على جانب كبير من الايحاء (...) فلو أن

المحلية والوطنية، وهي التي سعت في المقابل إلى الرد والدفاع ومحاولة نفي أو تصحيح كثير من الأطروحات والتأويلات التي جاءت بها الكتابات الأوروبية حول المغرب عامة، ووادي نون ومحيطه القبلي خاصة[16].

ويمثل ما ورد في بعض مؤلفات العلامة محمد المختار السوسي (مؤلف إليغ قديما وحديثا – مؤلف المعسول بمختلف أجزائه، ...) نموذجا دالا في هذا السياق المعرفي والمنهجي؛ إذ عالج فيها طبيعة العلاقة التي جمعت بين المغرب الصحراوي (وادي نون ومحيطه القبلي نموذجا) والأجانب الأوروبيين من خلال مقاربة علمية رصينة، بعيدة عن التضخيم أو "التأويل" غير الموضوعي للحدث التاريخي[17]، وذلك على خلاف ما درج عليه عدد من الكُتاب والضباط

الدول الأجنبية طالبت بتصدير الحبوب والماشية وحاول السلطان التملص من طلبها لتعالت صيحات أوروبا منددة بنزعة المغرب الأزلية إلى العيش منكمشا على نفسه".

راجع بهذا الشأن: جرمان عياش، **دراسات في تاريخ المغرب**، نشر الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط، 1986م، ص: 72 – 75.

ورغم النقد المنهجي والمعرفي الذي طال الكتابات الأجنبية حول المغرب، فإنها أسهمت، من خلال التدخل الاستعماري في توفير مجموعة من المعطيات والمعارف التي كان من الممكن عدم الحصول عليها أو إنتاجها، وهي معارف تاريخية همت مختلف أوضاع المجتمع المغربي. وعلى سبيل المثال، أتاحت التقارير الأوروبية إمكانية الوقوف على البنية الاقتصادية للمغرب خاصة في القرن 19م، من خلال الاطلاع على حجم الإنتاج ووضعية الميزان التجاري، وعلاقته بتطور الدولة والمجتمع، وهي معطيات عمل العسكريون والضباط والديبلوماسيون على جمعها وتدوينها، ثم أعادوا استثمارها وتوظيفها. ونستدل في هذا السياق بدراسة أسهمت في كتابة تاريخ المغرب **من خـــلال:**

- ✓ Miege, Jean Louis, **Le Maroc et l'Europe (1830 – 1894),** Edition la Porte, Rabat, 1989.

[16] – لا يعني ذلك نجاح الكتابة الوطنية والمحلية في إعادة كتابة تاريخ المغرب، وذلك لأسباب عدة، من بينها تقديس الوثيقة، إضافة إلى سبب آخر أشار إليه الباحث والمفكر عبد الله العروي، الذي كان واضحا في انتقاده لمحدودية النقد الايديولوجي وسذاجة الاستغرافيا الوطنية، التي لا تختلف عن نظيرتها الأجنبية في شيء، سواء على مستوى المنهج، أو على مستوى تبني المفاهيم التاريخية نفسها، وهو ما عبر عنه بقولـه:

"بما أن التأليف الاستعماري كان مليئا بالأحكام السلبية، المبنية على مفاهيم مسبقة، غير مرتبطة ارتباطا عضويا بوقائع التاريخ المغربي، نشأ تأليف مغربي أخذ مادته من التأليف العربي القديم وعارض التأليف الاستعماري في أحكامه ومراميه، إلا أنه وافقه في مناهجه. هذا التأليف الوطني جديد بالنسبة لما سبق من تأليف عربي لكنه بالنسبة لمستوى البحث المعاصر، تقليدي كالتأليف الاستعماري، يعتمد مثله الوثيقة المكتوبة، سياسية أو أدبية، رسمية أو شخصية. يولي اهتمامه للحدث السياسي فوق أي حدث آخر ويحاكمه من زاوية مفهوم الدولة. الفرق بينه وبين التاريخ الاستعماري هو أنه لا يشك في وجود الدولة المغربية بل يفترضها كواقع قائم منذ بداية الحقبة الإسلامية، مستغلا لهذا الغرض إزدواجية معنى الكلمة عند ابن خلدون. حيثما كان حكم المؤرخ الاستعماري سلبيا كان حكم المؤرخ المغربي إيجابيا. يقول الأول: لم يؤسس المغاربة دولة بالمعنى الحقيقي (الروماني والأوروبي العصري) بسبب ضعف في البنية الاجتماعية ونقص في الفكر، فيجيب الثاني: نجحنا في تكوين دولة قوية كان المفروض أن تستمر في التقدم لولا الحملات الصليبية الاستعمارية المتوالية. يختلف الاثنان في الحكم والتقييم ويتفقان في رسم هدف التاريخ، يقول الإثنان: لنتعظ بدروس الماضي".

راجع بهذا الشأن: العروي عبد الله، **مجمل تاريخ المغرب**، الجزء الأول، منشورات المركز الثقافي العربي، الطبعة الخامسة، 1996م، ص: 17.

[17] – إن استثمار مثل هؤلاء المؤرخين المغاربة لمفهوم **"التأويـل"**، على النحو الذي عبر عنه لاحقا المؤرخ والمفكر عبد الله العروي، يتم بوصفه قيمة محورية تمكن المُؤول من إدراك عُنصر التنسيق والوحدة، باللجوء إلى الحدس لا بمفهوم أو معنى التوهم العابر، بل بمعنى القناعة التي تستقر في النفس بعد طول المعاشرة والاستئناس بالنص، راجع بهذا الشأن:

- ✓ العروي عبد الله، **مفهوم التاريخ، المفاهيم والأصول**، الجزء الثاني، منشورات المركز الثقافي العربي، الطبعة الرابعة، 2005م، ص: 313.

إن **"التأويـل"** بهذا المعنى، نفهم منه أنه يدرس النص التاريخي الذي بُتر جزء منه أو بعض من كلماته، الأمر الذي يقتضي تفسيره وفق **"التأويـل العلمـي"**، الذي يفرض بدوره ربط النص وتحديده ضمن مجاله المكاني وسياقه الزماني، لا إسقاطه على سياقات أخرى مُتباعدة من حيث المعنى وطريقة فهم مُختلف البنيات والخصوصيات. ونورد في هذا الإطار، مثالا مُهما اطلعنا عليه في رسالة تاريخية حول منطقة وادي نون ومحيطها القبلي، محفوظة بدار إليغ (فرع انزكان، الوثيقة رقم 13، المجلد رقم 01)، مؤرخة بيوم 22 دي الحجة عام 1278 هـ ، تتناول موضوع الضغط الأجنبي على سواحل الصحراء المغربية، إذ يُلاحظ أن نص هذه الرسالة ورد مبتورا من حيث المرسل والمرسل إليه، فضلا عن بتر مضامين أخرى تتخلل المتن في أكثر من موضع، وهو ما فرض علينا اعتماد **"التأويـل العلمـي"**، القائم على الإستئناس بمزيد من الوثائق والمعارف التاريخية الأخرى، من قبيل الاعتماد على الروايات الشفهية، قصد استنتاج المعنى التاريخي وتحديد اطاره المكاني وسياقه الزمني.

وينطبق الأمر نفسه على نص تاريخي آخر (وثيقة تاريخية بحوزتنا)، اختار صاحبه عدم الإفصاح عما في نفسه بشكل مباشر وواضح، وذلك من خلال رسالة سلطانية مُوجهة إلى القائد "دحمان بن بيروك بن عبد الله بن سالم الوادنوني"، مؤرخة بيوم 20 صفر الخير عام 1326 هـ / 1908م، فقد وظف الكاتب مفهوم **"الثائـر"** دون تسميته، مُكتفيا بالإشارة إلى أفعاله ومشاكله بمجال وادي نون ومحيطه القبلي، وهو ما شكل حافزا للاعتماد على **"تأويـل**

الأجانب، الذين تقمصوا أدوار المؤرخين والباحثين في حقل التاريخ، غير أنهم ابتعدوا عنه علميا وواقعيا في كثير من كتاباتهم وتقاريرهم حول منطقة وادي نون وغيرها، ولا سيما فيما يتصل بالجوانب التي تخدم مصالحهم، أو تبرر تدخلهم الاستعماري الايديولوجي.

وفي هذا السياق، يُلفت المفكر عبد الله العروي الانتباه إلى إحجام الكاتب الاستعماري عن استعمال مفهومي "**المجتمع**" و"**الدولة**" عند حديثه عن المغرب، في محاولة لنفي وجود دولة ومجتمع مغربيين خلال القرن الماضي. وهو ما يتقاطع، في الآن ذاته، مع ما دعا إليه الباحث جرمان عياش في أكثر من مناسبة تاريخية علمية، حين شدد على ضرورة الاعتماد على الوثائق المغربية، باعتبارها تقدم وجهة نظر جديدة ومغايرة، يُدرس من خلالها المغرب بوصفه موضوعا قائما بذاته، وذلك عبر قراءة الوثائق والنصوص المحلية انطلاقا من الواقع التاريخي المغربي، لا من خلال التقارير والتصورات والتأويلات الأجنبية.

إن مسألة الاختلاف الحاصل بشأن مضامين النصوص التاريخية على اختلاف أنواعها، والمقاربة الواجب اعتمادها قصد تحقيق الفهم الدقيق وتحديد سياق الأحداث، تحيلنا على إشكالية أخرى، مفادها أن عددا كبيرا من الدراسات المحلية التي تناولت تاريخ وادي نون ومحيطه القبلي، اعتمدت، في الغالب، على المصادر والمراجع العامة[18]، سواء المغربية منها أو الأجنبية، أكثر من اعتمادها على المصادر المحلية، ويُعزى ذلك إلى ندرة هذه الأخيرة وقلتها، ولا سيما ما يتعلق بالوثائق والمخطوطات التي توجد أغلبها في حوزة الخواص، أو ضمن ملكيات خاصة، وما يُرافق ذلك من إشكالات مُتداخلة ومُتنوعة يصعب، في كثير من الأحيان، إيجاد حلول ناجعة لها.

وقد ترتب عن هذا الوضع العلمي، نوع من القصور في تحليل ودراسة مجمل بنيات مجال وادي نون وتاريخ نصوصه بصفة شاملة، الأمر الذي يفرض على الباحث في الحقل التاريخي المتصل بهذه المنطقة الصحراوية، ضرورة الوعي بهذه الاشكالية والعمل على معالجتها، وذلك من خلال الإسهام في تطوير مُقاربة معرفية ومنهجية قادرة على صياغة تاريخ هذا المجال وتحقيقه علميا، وتثمين مختلف مصادره، الخاصة والعامة، مع السعي في الآن ذاته إلى ملاءمتها مع المستجدات العلمية التي تُعيد قراءة التاريخ وتُصححه، أو تُكشف ما كان مُضمرا أو مُستترا فيه.

ويتحقق ذلك، بالاعتماد على جرد وتصنيف ودراسة مختلف الوثائق والمخطوطات وغيرها من المصادر، ولا سيما

علمي" مُنطلق من مصادر معرفية تاريخية، ولا سيما الروايات الشفهية، قصد تحديد وفهم مضمون النص أو الرسالة السلطانية، وإعادة تركيبه بشكل علمي مُحكم.

وأخيرا وليس آخرا، وبخصوص موضوع "**التأويل التاريخي**" الذي تتعدد مظاهره، تجدر الإشارة إلى ضرورة استحضاره على المستوى الطوبونيمي، لتفسير نشأة مجال جغرافي معين وارتباطه بعدة أحداث جسيمة، وينطبق ذلك على مجال وادي نون والمناطق التابعة له (نول لمطة – تكاوست ...)، إذ أمكن، من دلالاتها الطوبونيمية ومن الروايات الشفهية والتأويلات العلمية التاريخية المصاحبة لها، استخلاص العديد من المعطيات التاريخية التي أسهمت في تغيير مجرى التاريخ المجالي ككل.

راجع بخصوص "**التأويل الطوبونيمي التاريخي**" من خلال مجال "وادي نون"، أو مجال "تكنة" بوصفه مفهوما جغرافيا لاحقا:

← أمزيغ عبد اللطيف، **وادي نون خلال القرن التاسع عشر، دراسة في البنية الثقافية والاجتماعية والتجارية، "أسرةآل بيروك نموذجا"**، أطروحة الدكتوراه في التاريخ تحت إشراف الدكتورين بوجمعة رويان، عبد العزيز بلفايدة، جامعة ابن طفيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، موسم2017م / 2018م، صص : 71 – 114.

[18] – لقد جرى تناول الحدث التاريخي في مجال وادي نون ومحيطه القبلي، مهما كان نوعه، بشكل عام في ارتباطه بتاريخ الدولة المغربية ومصادرها ووثائقها المخزنية والرسمية، أكثر من تناوله بشكل خاص في علاقته بالمكان المعني، أو بالظروف الزمنية والسياق التاريخي المحيط به، وذلك اعتمادا على الوثائق المحلية، الدفينة منها أو الظاهرة، في هذه الجهة أو تلك. ويُسهم هذا المنهج العلمي في فهم بنية الحدث الخاصة أولا، قبل الانتقال إلى ربطه بما هو عام، بما يسمح بإغناء التاريخ الوطني وإعادة كتابته وتشكله وتركيبه من جديد.

المصادر الأوروبية[19] منها، على اختلاف توجهاتها، قصد إعادة تناول تاريخ منطقة وادي نون ومحيطها القبلي من زوايا متعددة ومهمة، تُبعد عنه المقاربات الأحادية (محاولة مقارعة المصادر المحلية المغربية بغيرها من التقارير والدراسات التاريخية الأجنبية، خاصة الأوروبية باختلافها)، وتُتيح فهم مُجمل العلاقات التي تشكلت في سياقها الزماني والمكاني، وتحديد مختلف العناصر الفاعلة في بناء البنيات المجتمعية، بما يُسهم في بناء الحاضر والمستقبل، والتحرر من أشكال التبعية الثقافية والتاريخية والإيديولوجية.

وفي هذا السياق المعرفي المرتبط بفهم وتحقيق مضمون النص التاريخي وتنوع مصادر معلوماته، وما يقتضيه ذلك من متطلبات منهجية تكتسي أهمية قصوى في مجال وادي نون، ذي العلاقات المتنوعة والمتشابكة أحيانا، تجدر الاشارة إلى أن الباحث المؤرخ بهذه المنطقة الصحراوية، مُلزم بالبحث عن المزيد من الوثائق والمعلومات التاريخية الجديدة[20]، قصد إضافتها إلى رصيده المعرفي العلمي، وإلى ما بحوزته من مادة أولية سبق له الحصول عليها بطرق مختلفة، ويلي ذلك، القيام بجرد هذه الوثائق وتصنيفها، ثم العمل، في مرحلة لاحقة، على قراءتها وضبطها وفهم مضامينها وسياقاتها، فضلا عن إخضاعها للنقد التاريخي بنوعيه، الداخلي والخارجي، بهدف بناء سرد تاريخي يتصف بالمصداقية العلمية، ويتلاءم في الوقت نفسه مع الإشكالية المطروحة وأهم الفرضيات المعتمدة في الدراسة والمناقشة الأكاديمية.

وفي هذا السياق المرتبط بجمع ودراسة الوثائق والنصوص التاريخية بوادي نون ومحيطها القبلي، يتعين على الباحث والمؤرخ التريث في إصدار الأحكام بشأن أهم أحداثها، أو الامتناع عن ذلك إلى حين التأكد والتحقق من جميع حيثيات الحدث أو الظاهرة، بمختلف الوسائل، من بينها الاستعانة بالعلوم المساعدة. فإصدار أحكام قطعية، قد يُشكل أحينا عائقا أمام تطور علم التاريخ وفهم بنياته الأساسية.

ويمكن الوقوف على ذلك من خلال بعض المجالات الجغرافية، من قبيل منطقة إليغ ومنطقة جبل باني ومنطقة لاخصاص (الامتداد الجغرافي والاقتصادي والسياسي لمنطقة وادي نون) التي ما تزال تحتفظ مجتمعة، بعدد كبير من الروايات الشفهية والوثائق القديمة ذات القيمة العلمية، القادرة على إغناء الحقل التاريخي، ولا سيما تلك المحفوظة في صناديق خشبية قديمة، وأخرى داخل أوعية وقوارير مصنوعة من الخشب، كما وقفنا على ذلك ميدانيا. ويتجلى ذلك بوضوح عند تناول الأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية المرتبطة ببعض المعالم المعمارية التاريخية، وهي المعالم التي سبق أن قمنا بدراسة نماذج منها في هذا المجال الجغرافي[21].

---

[19] – بخصوص هذه الإشكالية التاريخية المرتبطة بتناول واستثمار النص التاريخي الأجنبي في كتابة تاريخ وادي نون ومحيطه القبلي، تجدر الاشارة إلى أنه، رغم كثرة التقارير الأجنبية حول هذا المجال وغيره، فإن الأجانب لم يتمكنوا من تغطية جميع المناطق الجغرافية، على الرغم مما بذلوه من جُهد وما وظفوه من وسائل مادية وعسكرية وسياسية وإدارية مهمة، ويعود ذلك إلى الإكراهات الجغرافية، وصعوبة التغلغل في فهم العديد من البنيات المشكلة لتطور المجتمع الصحراوي المترامي الأطراف والمتشابك في الآن ذاته، نتيجة ثنائية الاستقرار والترحال وغيره من الأسباب الأخرى، بما فيها العوامل الاقتصادية .

إضافة إلى ذلك، ارتبط عمل الأجانب أساسا بتوطيد الغزو لا بغيره، وهو ما يتجلى من خلال التقسيم الذي خضع له مجمل المغرب سنة 1912م، حيث قسم إلى مجالين؛ مجال خاضع للنفوذ الفرنسي وآخر للنفوذ الاسباني، وقد أدى هذا الوضع إلى تضارب دلالات "**الحدث**" و "**البنية**" داخل الكتابات الأوروبية حول مجال وادي نون ومحيطه القبلي، إذ قُسم بدوره إلى مجالين استعماريين، الأمر الذي أفضى في النهاية إلى فهم وتناول غير علمي لبنياته من طرف الكتاب الكولونياليين باختلاف صفاتهم ومهامهم.

[20] – توجد في منطقة وادي نون ومحيطها القبلي العديد من الأسر والخزائن التاريخية التي ما تزال بحاجة إلى التصنيف والدراسة العلمية، والتي من شأنها أن تُسهم في إعادة كتابة التاريخ المحلي والجهوي وفق مقاربة معرفية ومنهجية تتماشى مع المستجدات من معطيات ووثائق تاريخية.

[21] – أمزيغ عبد اللطيف، **العمارة التاريخية بمنطقة وادي نون ومحيطها القبلي**، رسالة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، تحت إشراف الدكتور عز الدين بو النيت، جامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، الموسم الجامعي 2008م – 2009م، ص: 87 – 104.

وقد اعتبرت الروايات الشفهية الخاصة بهذا المجال الجغرافي وامتداداته، بعد جمع بعضها من لدن الشيوخ، غير قطعية في تأكيد الحدث، إذ تم التوصل لاحقا إلى معطيات ووثائق أو نصوص مكتوبة على الخشب، أسهمت في تعزيز المعرفة التاريخية لهذه المنطقة الصحراوية وغيرها، وفي الوقت نفسه، في تأكيد الرواية الشفهية أو تصحيحها أو نفيها.

ونورد في هذا الإطار المتعلق بأهمية النص التاريخي، باختلاف أنواعه، في تصحيح الروايات الشفهية أو تأكيدها أو نفيها، مثالا مما يرتبط بتاريخ العمارة في المحيط القبلي لمنطقة وادي نون، وذلك من خلال مثالين نوضحهما على الشكل التالي:

أ) **– <u>المثال الأول:</u>** تُحيل الروايات الشفهية المتداولة بقبيلة لاخصاص، التي تربطها بقبائل منطقة بوادي نون علاقات تاريخية مهمة، بناء وتشييد مجموعة من البنايات القديمة **(أنظر الصورتين الفوتوغرافيتين أسفله: الصورة رقم 01 – 02)** المُشيدة على أعالي جبال الأطلس الصغير إلى البرتغاليين خلال القرن 16م، وذلك استنادا إلى تواتر هذه الروايات من السلف إلى الخلف، غير أن دراسة ومقارنة ما ورد في النصوص التاريخية لدى عدد من المؤرخين الذين تناولوا هذه الفترة من تاريخ المغرب، تفند هذا الطرح، اعتمادا على وثائق ودراسات تتعلق بفترة الوجود البرتغالي بالسواحل المغربية[22].

الصورة رقم 01: معلمة أكادير أونغير بمنطقة لاخصاص

[22] – بخصوص مناقشة وتحليل هذه الإشكالية المرتبطة بصحة ونفي تشييد البرتغاليين لبعض المعالم المعمارية بقبيلة لاخصاص، راجع:

✓ أمزيغ عبد اللطيف، **العمارة التاريخية بمنطقة وادي نون ومحيطها القبلي، مرجع سابق**، ص: **164 – 165.**

الصورة رقم 02: معلمة أكادير نكولي بمنطقة لاخصاص

ب) – **المثال الثاني:** إذا كان المثال الأول يُبرز نفي النص التاريخي لما ورد في الروايات الشفهية، فإن المثال الثاني يوضح العكس، ويتجلى ذلك من خلال واحة أمتضي الواقعة شرق منطقة وادي نون، حيث تحيل مجموعة الروايات الشفهية بناء معلمة[23] "أكادير ايصضار" **(أنظر الصورة أسفله: الصورة رقم 03)** إلى أهال قدموا من منطقة تامدولت بنواحي مجال طاطا، ويعرفون بـ "إماريرن".

وقد دخل هؤلاء (إماريرن) في صراع حاد مع إحدى الفخذات الأصلية بهذه الواحة، وهي فخذة "إدشوو" التي تقطن معلمة أكادير أوكلوي، مما أسفر عنه مقتل جميع أفراد فخذة "آل إماريرن"، باستثناء امرأة حامل تُدعى "الزهرة بنت عبد الله أبو مسعود"، التي استطاعت الفرار إلى بلدتها الأصلية "إفران الأطلس الصغير"، وهناك أنجبت ابنا سمته "محمد بن محمد بن براهيم الأمريري الأمتضيي"، نسبة إلى أبيه وفخذته بواحة أمتضي.

وعندما بلغ هذا الابن سن الرشد، تزوج وأعاد نسب أسرته وفخذته إلى هذه الواحة، وأقسموا على عدم ربط أي علاقة مصاهرة أو قرابة مع أهالي فخذة "إدشوو".

[23] – للمزيد من المعطيات حول تاريخ هذه المعلمة والروايات الشفهية المرتبطة بها، راجع:
- ✓ **نفسه**، ص: 96 – 97.

وتوجد وثيقة تاريخية (أنظر الوثيقة أسفله) يُعبر نصها بشكل غير مباشر، عن صحة ما ورد في الروايات الشفهية المتداولة، وذلك بخصوص ظروف معلمة "ايصضار" والصراع الذي نشب بين "آل إماريرن" الوفدين إلى الواحة، وآل "إد شوو" الأصليون بها، بل إن هذا النص التاريخي الأصلي، الذي يعود إلى سنة 1758م، قد صحح اسم الأم واسم الابن الأمريري، حيث اختلفت بشأنهما الروايات الشفهية في العديد من اللقاءات والمناسبات العلمية والاجتماعية.

أشهدتني الحرة الثانية الزهرة بنت عبد الله أبو مسعود من فرقة أمسرى بوفرانة أنها تصدقت على ولدها محمد بن محمد بن براهيم المنفضي أمرير به لقب جميع صدقاتها المرتب على أبيه الهالك عنها وهو ستون مثقالا ذهبا مهديا صدقة تامة ماوضة وأمرت له بحوزه تصدقت بذلك وجه الله التقديم وصلة الرحم والقيام من غير تحكم ولا إكراه من أحد فيها وفيما ذلك لله تعالى إن الله لا يضيع أجر من أحسن فالله يجازي له وكتب من أشهدته وهي بحال الصحة والطوع والرضا وبتاريخ فاتح جمادى الأولى سنة 1172 هـ محمد بن عبد الله البوسكوري عرف وشهد الله وابنه أحمد بن عبد الله بن محمد بمشيخة أمسرى تاب الله عليهم آمين.

الحمد لله تعالى أشهدتنا الزهرة بنت عبد الله أبو مسعود بفرقة أمسرى يوم ملك زوجها محمد بن براهيم المنفضي أمرير به لقب تركت سبعة غرائر شعير وأربعة غرائر حب الهرجان يعني تلبوشت ومرفعه ونصف البقرة المشتركة مع إخوانه الطالب أحمد بن بلا وعلي بن بلا وأمه حوى وشركته في مثل أبناء ..... بذات القران في الثمن والذي حق كل ذلك دخل بين إخوانه المذكورين ولمه المذكورة ما أثبت بشيء من ذلك غير محمد بن علي زوجها في الوقت بذات القران سوى رداء الصوف وجعلت ذلك صدقة لابنتها محمد بن محمد بن براهيم المذكورين حسبه أخواله المذكورين فيما جهزوا به أمه أبيه بخلعه من تركة أبيه طال الزمان أو قصر وهذا ما شهدت به علينا وكتب من أشهدته وهي بحال كمال الإشهاد وبتاريخ ..... (يمكن أن يكون نفس التاريخ الذي يوجد أعلاه 1172 هـ) محمد بن عبد الله..... وفقه الله آمين.

لن تقف المقاربة المعرفية والمنهجية لدراسة النصوص التاريخية لوادي نون ومحيطه القبلي، وتطورها عند حد استثمار مختلف المصادر المادية الملموسة، سواء كانت محلية، أو وطنية، أو أجنبية، والحفاظ عليها من مختلف العوامل التي تُلحق بها الأذى، بل ينبغي أن تمتد هذه المقاربة العلمية إلى توظيف البحث الميداني على غرار ما تم القيام به في إنجاز دراسات تاريخية علمية سابقة ومهمة[24]، أسهمت في فهم ودراسة التحديد الجغرافي للأماكن وارتباطها بالظواهر الجيولوجية أو الأركيولوجية أو التاريخية.

[24] – نذكر من بينها:

- ✓ التوفيق أحمد، **المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (اينولتان 1850م – 1912م)**، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، أطروحات ورسائل، رقم 01، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1403 هـ / 1983م.
- ✓ Montagne Robert, **Les Berbères Et Le Makhzen Dans Le Sud Du Maroc**, Essai sur la transformation politique des Berbères sédentaires (groupe chleuh). Ed Alcan , Paris, 1930.

كما تبرز أيضا ضرورة استثمار ما توفره الذاكرة الشفهية لسكان هذه المنطقة الصحراوية[25]، الذين عرفوا عبر التاريخ بالتعاون والصراع في الوقت نفسه[26]، سواء بين بين الأصليين أنفسهم (اللمطيون – الجزوليون ...)، أو بينهم وبين الرحل، خاصة الرحل العرب بعد قدومهم إلى المغرب إبان القرن 13م، حيث كان هؤلاء يبحثون عن الكلأ للقطعان، ويعملون على تأمين المسالك والتحكم فيها لتنشيط الاسواق والمواسم، قصد امتهان التجارة وتنميتها في ظروف صعبة في زمن ما كان يعرف بزمن "السيبة"[27].

وفي هذا الإطار، اختلف الأصليون والرحل من حيث الانتماء الاثني وطبيعة النمط الاقتصادي، الذي كان يعتمد

---

[25] – عُرف تاريخ مجتمع الصحراء بطابعه الشفهي، نتيجة غياب الاهتمام والإلمام بعلم التاريخ وأهميته، بالإضافة إلى الانقسام الذي شهده المجال الصحراوي من خلال انقسام القبائل إلى عدة أحلاف، وسيادة تراتبية اجتماعية وظيفية وغير ديمقراطية تؤرخ للأقوى (حملة السلاح – الزوايا ...)، وتحاول في الوقت نفسه، إنكار تاريخ الفئات الأخرى الواقعة في أسفل الهرم الاجتماعي (العبيد – الحراطين ...)، إلى جانب ذلك، نجد اختلاف الرؤى والمصالح المجالية والايديولوجية، مما أدى إلى بروز إشكالية كتابة التاريخ وتدوين مختلف أحداثه وظروفه، اعتمادا على الرواية الشفهية باختلاف فتراتها الزمنية.

للمزيد من المعطيات حول إشكالية الكتابة التاريخية بالصحراء، راجع:

← بوزنكاض محمد، **دراسة في التاريخ الاجتماعي للصحراء الأطلسية ما بين القرنين 17 و 20**، الناشر: مركز الدراسات والأبحاث "مشاريع" (مدينة أسا)، المطبعة والوراقة الوطنية، زنقة أبو عبيدة، الحي المحمدي الداوديات، مراكش، الطبعة الأولى، 2012م، من ص: 30 إلى ص: 37.

[26] – راجع بخصوص هذه الإشكالية التاريخية:

← أمزيغ عبد اللطيف، **وادي نون خلال القرن التاسع عشر، دراسة في البنية الثقافية والاجتماعية والتجارية، "أسرة آل بيروك نموذجا"، مرجع سابق**، من ص: 71 إلى ص: 114.

[27] – يُمكن تعريف هذا المفهوم التاريخي من خلال نقطتين أساسيتين:

✓ تناولت العديد من الدراسات مفهوم "**بلاد السيبة**" بمقابلته بمفهوم "**بلاد المخزن**"، إلا أن هذه الثنائية أو المقابلة (السيبة والمخزن)، تبين أنها من إنتاج المستعمر الأوروبي خلال القرن 19م، بهدف اختراق البلاد من خلال التحريض على القيام بانتفاضات قبلية لم تكن تقتصر على دولة المغرب فقط، بل نجدها أيضا في بلدان أخرى كظاهرة تاريخية استُغلت من طرف الكولونياليين، بعيدا عن المنطق والظروف والسياق التاريخي الذي مر منه كل مجال جغرافي على حدة. إن انتفاضات قبائل مجال "**السيبة**" ليست انتفاضات عشوائية، بقدر ما هي انتفاضات مُقننة وواعية، يرغب من خلالها القواد والشيوخ بتجاوز مشاكلهم المجالية المختلفة، وفي الوقت نفسه، المشاركة في تسيير حكم الدولة، وليس الانفصال عنها وإلحاق الضرر بها، بدليل اعترافهم بالسلطان دينيا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا.

✓ إن "**السيبة**" في المجالات القبلية التي كانت بعيدة عن المركز أو العاصمة المخزنية (حيث انحدار نفوذ الدولة وقوتها، كلما ابتعدنا عن هذا المركز المخزني)، وما ينتج عن ذلك من قلاقل مختلفة للدولة، بالإضافة إلى ضُعف بنيتها الاقتصادية وغير ذلك من المشاكل الأخرى، يعني عدم قدرتها على أداء الجبايات وتحمل إقامة المحلات المخزنية ...، وبالتالي، فقد عمد المخزن المغربي، خاصة في القرن 19م، إلى ترك هذه المناطق القبلية على عوائدها، بالعمل وفق الشرع والعرف اللذين كان لهما دور هام في إقرار الأمن وتأكيد التبعية للمركز عبر التاريخ، وذلك بالدعاء للسلطان والاعتراف بسيادته، عكس ما تدعيه مضامين العديد من الكتابات الأجنبية الكولونيالية.

للمزيد من المعطيات التاريخية حول هذا الموضوع الإشكالي، يُمكن العودة إلى مجموعة من الدراسات العلمية، من أهمها:

- حنداين محمد، **المخزن وسوس، (1672 م / 1822 م)، مساهمة في دراسة تاريخ علاقة الدولة بالجهة**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة الأولى، يوليوز 2005م.
- سعودي نور الدين، **ظاهرة "السيبة" في مغرب القرن التاسع عشر، أطروحات حول السيبة**، مجلة دار النيابة، مجلة فصلية وثائقية دراسية تعنى بتاريخ المغرب، طنجة، المغرب، العدد 09، 1986م، من ص: 37 إلى ص: 45.
- Montagne Robert, **Les berbères et le makhzen dans le sud du Maroc**, essai sur la transformation politique des berbères sédentaires (groupe chleuh), Ed Alcan, Paris, 1930.
- Ennaji Mohamed et Pascon Paul, **Le Maghzen et le sous Al-Aqsa, la correspondance politique de la maison d'Iligh (1821-1894),** Ed. du C.N.R.S (centre national de la recherche scientifique), Paris et Toubkal, casablanca, maroc, 1988.
- **Pascon Paul, (avec la collaboration de A. Arrif, D. Schroeter, M. Tozy, H. Van Der Wusten),** La maison d'Iligh et l'histoire sociale du Tazerwalt, **Ed. Société marocaine des éditeurs réunis (S.M.E.R), Rabat, 1984.**

على القبيلة وعلى علاقاتها الداخلية والخارجية، بما يضمن تنسيقا وارتباطا حتميا مع المخزن المغربي، الذي اضطلع عبر التاريخ بدور مهم في التأثير بشكل أو بآخر على البنية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية للقبائل الصحراوية.

إن دراسة النص التاريخي وفهمه وتوظيفه في البحث العلمي، من خلال استثمار مثل هذا النوع من المصادر التاريخية القيمة، وبقدر ما ترتبط باللسان الشفهي والذاكرة المحلية لوادي نون ومحيطها القبلي، وقدرتها على استيعاب معزى البحث وتخزين المعلومات واسترجاعها، وإعادة توظيفها بشكل صحيح وعلمي، بعيدا عن العاطفة والايديولوجيا وغيرها من المؤثرات التي تنعكس سلبا على تحقيق الحدث ووضعه في سياقه التاريخي، فإنها تقتضي بالضرورة فعلا منهجيا ومعرفيا مُحكما، مُرتبطا بالحقل التاريخي، ومُنفتحا في الوقت نفسه على باقي الحقول العلمية الأخرى.

ويُستحضر في هذا السياق، ما حدده الضابط الفرنسي ليوبولد جوستنار (Léopold Justinard) من شروط في خطابه الذي وجهه إلى ضباط الشؤون الأهلية، أثناء قيامهم بالمهام الميدانية الرامية إلى ترسيخ الوجود الاستعماري، والمتمثلة في الصبر والأناة والحذاقة والذكاء والحظ، وضبط اللغة المحلية، إلى جانب توظيف قدر مُحدد من السلطة المتاحة لدى هؤلاء الضباط[28]، وهو النهج ذاته، الذي اعتمده عدد من الباحثين في تاريخ الجنوب المغربي بصفة عامة، من أمثال الباحث آفا عمر، إذ لم يلجؤوا إلى الروايات الشفهية، إلا بعد إحاطة تامة بالمنهج التاريخي العلمي، وبسياق مضامين كل ما هو مكتوب حول مختلف البنيات التاريخية، باعتبار ذلك، شرطا أساسيا لتحقيق الروايات الشفهية، وتحديد مدى صحتها، ومدى إسهامها في كتابة التاريخ أو إعادة كتابته انطلاقا من النصوص والوثائق ....

ويُعد الأخذ بمجمل هذه الشروط الميدانية، قصد إغناء التاريخ المكتوب بالاعتماد على النصوص والوثائق ونحوها، عاملا حاسما في تفسير محدودية توظيف الروايات الشفهية في عدد مهم من الدراسات التاريخية السابقة والحالية بمنطقة وادي نون ومحيطها القبلي، وذلك خشية الوقوع في المحظور التاريخي (المعرفي والمنهجي)، الذي قد يؤدي بالباحث والمؤرخ إلى الخطأ في تحديد السياق التاريخي للحدث، وفي تثمين التراث المجالي بمختلف أنواعه وأشكاله ومظاهره.

إن مختلف هذه الظروف المرتبطة بالميدان، تحد من توظيف العديد من الروايات الشفهية واستثمارها بشكل مهم في دراسة النص التاريخي، وذلك بسبب غياب السند أو المرجع الذي يمكن الاعتماد عليه في إجراء المقارعة المصدرية والخروج بنتائج ذات قيمة علمية على المستوى التاريخي[29]، ورغم ذلك، فقد شكلت العديد من الروايات الشفهية عبر التاريخ خزانا معرفيا مهما، لجأ إليه الانسان في منطقة وادي نون ومحيطها القبلي، قصد تقنين وضبط مجمل علاقاته وتعاملاته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية، قبل أن يهتدي الأفراد إلى التوثيق الكتابي، الذي لم ينه أو يقض دوره على الاتفاقات الشفهية بشكل نهائي، إذ ما تزال هذه الأخيرة حاضرة إلى اليوم في العديد من المناطق الصحراوية المغربية، بما فيها مناطق وادي نون ومحيطها القبلي الممتد.

---

[28] – **L**éopold **J**ustinard **C**olonel , **Notes D'Histoire Et De Littérature Berbère, Les Haha Et Les Gens Du Sous** , In Hespéris –Tamuda, Archives berbères et bulletin de l'institut des hautes études–marocaines, T 8, 1928, 3° – 4° Trimestre, P : 333– 334.

[29] – لاستنتاج المزيد من المعطيات حول هذه الاشكالية، راجع معطيات المتن السابق بخصوص مفهوم "**التأويل**" وعلاقته بالروايات الشفهية بمنطقة وادي نون ومحيطها القبلي، ودوره في بناء وإغناء النص التاريخي وتوظيفه بشكل علمي.

لتوضيح هذه الإشكالية، يُمكن أيضا مراجعة الهامش رقم: 17 من خلال الوثيقة المؤرخة بيوم 20 صفر الخير عام 1326 هـ / 1908م، حيث وظف الكاتب مفهوم "**الثائر**" دون تسميته صراحة، مُكتفيا بالإشارة إلى أفعاله ومشاكله بمجال وادي نون ومحيطه القبلي. وقد اصطدم البحث من داخل الرواية الشفوية عن المقصود بـ "**الثائر**" بعدة مشاكل مرتبطة بهذه الآلية البحثية الميدانية (الرواية الشفهية)، مما دفعنا إلى عدم الاعتماد عليها لتفادي الوقوع في التأريخ بالخطأ، وكان الحل هو اللجوء إلى المقارنة والمقارعة بالمصادر المعرفية الأخرى، بما فيها نصوص الوثائق التاريخية.

ونستدل في هذا السياق المعبر عن أهمية الرواية الشفهية في كتابة النص التاريخي، بالمؤرخ والعلامة محمد المختار السوسي، الذي أرخ للعديد من المناطق السوسية والصحراوية، ولا سيما من خلال مؤلفه "**المعسول**" ومؤلفه الآخر "**من أفواه الرجال**"، فقد اعتمد على الروايات الشفهية وفق شروط علمية دقيقة تحول دون إفساد التاريخ، بل شروط تفتح المجال لمزيد من التنقيب والبحث عن تتمة الأحداث ووضعها في سياقها التاريخي العلمي؛ ولم يكن المؤلف السوسي ليلجأ لهذا المصدر الشفهي[30]، إلا بعد أن تعذر عليه العثور على الوثائق، أو صعوبة فهمها، أو انقطاع سياقها التاريخي بالنسبة لعدد مهم من الأحداث، سواء التي اطلع على مضمونها، أو التي تعرضت للتلف أو الضياع، أو تم إخفاؤها لظروف وأسباب متعددة مُرتبطة بعقليات أصحابها ومصالحهم المختلفة.

إن فهم النص التاريخي لمجال وادي نون ومحيطه القبلي، يرتبط بمصادر أخرى غير مكتوبة، من قبيل الروايات الشفهية التي أسهمت إسهاما جذريا في تحديد مفهوم التاريخ وإعادة النظر فيه؛ فقد تم الانتقال في تناول علم التاريخ من الاقتصار على الأحداث الكبرى المرتبطة بالمجال، مثل صراعات القبائل فيما بينها وعلاقاتها الخارجية، خاصة مع المخزن والأجانب، إلى دراسته من خلال مختلف البنى المحلية الاقتصادية والاجتماعية وغيرها، باعتبارها مدخلا أساسيا ومهما لفهم تاريخ عموم البلاد المغربية، وتبيان العلاقة القائمة بين "**الهامش**" و "**المركز**" على جميع المستويات.

انطلاقا من ذلك، فإن تثمين الروايات الشفهية، وتوظيفها في البحث التاريخي لمنطقة وادي نون ومحيطها القبلي، وفق مقاربة معرفية ومنهجية، يستوجب بلورة مشروع علمي متكامل يتضمن دورات تكوينية وتدريبية، ويستثمر التجارب التاريخية العلمية السابقة، قصد تشكيل فريق عمل مُتمكن ومُتخصص في جمع الروايات الشفهية والتحقق منها، وهو ما من شأنه أن يُمكن من إعداد قوائم لأشخاص قادرين على إغناء التاريخ الشفهي والكتابي لوادي نون ومحيطه القبلي، وفق شروط علمية دقيقة، في مقدمتها مدى معاصرتهم للأحداث، أو مشاركتهم فيها، أو كونهم شهود عيان عليها، إضافة إلى عامل الثقة الواجب توفره في الشخص المستجوب، باعتباره عنصرا أساسيا في إنتاج معرفة تاريخية علمية رصينة.

إن فهم الأحداث والظواهر المتضمنة في مختلف الوثائق التاريخية بمجال وادي نون ومحيطه القبلي، يُلزم الباحث والمؤرخ بضبط المقاربة المعرفية والمنهجية التي تساعده على الاحاطة بكافة الظروف التي تفرضها النصوص المتعامل معها، ويشمل ذلك طبيعة أسلوبها اللغوي، سواء كان واضحا ومُلتزما بقواعد اللغة، أو أسلوبا ضعيفا وعاميا نتيجة محدودية معرفة وثقافة كاتب النص، وكذلك الأخطاء الإملائية الشائعة، وطبيعة المادة أو المداد الذي كتبت به النصوص التاريخية، والتي قد تتعرض للزوال بمرور الزمن نظرا لظروف الحفظ والتخزين (مثل الوثائق المثنية، أو المطوية، أو المحفوظة داخل الصناديق التقليدية أو داخل قوارير من الخشب أو من القصب). كما يتطلب الأمر أيضا، دراسة طبيعة

---

[30] – رغم اعتماد العلامة محمد المختار السوسي على الرواية الشفهية في كتابة النص التاريخي، فإنه لم يستطع الإحاطة بكل حيثيات بعض الأحداث التاريخية ومجمل ظروفها؛ وهو ما تجلى في تناوله لتاريخ منطقة وادي نون ومحيطها القبلي من خلال مجموعة من الأمثلة، من بينها معالجته لتاريخ أسرة آل بيروك الوادنونية؛ إذ لم يحسم في أصلها ونسبها ومجال انتشارها ووجودها ، واكتفى بالقول إنها: "جعفرية النسب، لكن ليس في أيدي الأسرة ما يشهد لذلك" (راجع: السوسي، محمد المختار، **المعسول**، الجزء: 19، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1960 – 1963، ص. 273).

ويضيف أيضا ما مفاده، أن أصولها تعود إلى قرية أيت وابلي الواقعة في شرق منطقة وادي نون (راجع: السوسي، محمد المختار، **خلال جزولة**، الجزء الثالث، الطبع بالمطبعة المهدية، تطوان، المغرب، ص. 42.)، وهي الحالة العلمية التاريخية التي استدعت البحث في مضامين باقي المصادر والدراسات التاريخية والمعرفية الأخرى.

للمزيد من المعطيات حول هذه الإشكالية المرتبطة بأصل ونسب ووجود أسرة آل بيروك بمنطقة وادي نون ومحيطها القبلي، من خلال ما ورد في الرواية الشفهية وما ورد في المصادر والدراسات التاريخية باختلافها، راجع:

- ✓ أمزيغ عبد اللطيف، **وادي نون خلال القرن التاسع عشر، مرجع سابق**، من ص: 292 إلى ص: 299.

اللغة المُستعملة أو المُستخدمة فيها[31]؛ فإما أن تكون لغة أجنبية (فرنسية أو اسبانية ...)، أو أمازيغية مكتوبة بالحروف العربية، أو عربية فصحى، أو مزيجا من العربية والأمازيغية ولهجات أخرى من هذا المجال الصحراوي. هذه الحالات المرتبطة بطبيعة اللغة، هي نفسها التي واجهناها في مختلف الوثائق التاريخية التي دراسناها واستعملناها في سياقات متعددة، تتعلق بالمجال الصحراوي لوادي نون ومحيطه القبلي الممتد.

إن هذه الاشكالية اللغوية، تفرض على المؤرخ والباحث والمتعلم بذل جهد علمي مهم، بهدف الإلمام وضبط مخارج الأصوات ومختلف اللغات واللهجات المجالية، خاصة تلك التي كانت مادة دسمة لدراسة مجال وادي نون ومحيطه القبلي، وذلك لتحديد ظواهر الماضي البعيد والقريب وفهم ظروفها، وتدقيق الحدث ووضعه في سياقه التاريخي من حيث الأسباب والنتائج، وبالتالي، تصحيح مسار التاريخ وتطوره من خلال مختلف التلميحات اللسانية التي يمكن أن يلمح أو يُشير إليها مؤلف الوثيقة، أو كاتب النص التاريخي، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، عبر الحروف والمعاني والألفاظ المُصممة بأشكال وخطوط متنوعة[32].

كما يقتضي ذلك أيضا، الوقوف خلال مرحلة البحث التاريخي على كافة المفاهيم البشرية والجغرافية وغيرها (تحديد الإطار المفاهيمي، أو وضع دليل لتفسير وفهم معجم الرصيد الوثائقي)، بهدف الخروج بمجمل الاستنتاجات التاريخية التي يمكن أن تثري الحقل التاريخي بمستجدات وإشكاليات قابلة للنقد وإعادة البحث. ويجب أن يكون تحديد الجهاز المفاهيمي حاضرا منذ مرحلة طرح الإشكالية وصولا إلى مرحلة التركيب، إذ يسهم ضبط معاني المفاهيم وإعطاؤها بعدا تاريخيا[33]، في توجيه البحث واستثمار معطياته وفق الإشكالية المطروحة.

ونورد في هذا السياق مثالا يُوضح ما ذُكر من خلال مفهوم "**أصلاليب**"، الذي ورد في لغة وثيقة تاريخية سبق أن تناولناها أثناء البحث في البنية الاقتصادية لمجال لوادي نون، وقد تطلب فهم هذا المفهوم البحث داخل المعجم اللغوي المتداول بهذه المنطقة الصحراوية، والمتداول أيضا في مجموعة من الوثائق التاريخية الأخرى الخاصة بالنصف الأول من القرن 20م، بهدف تحديد معناه ودوره في الماضي. وتبين أن هذا المفهوم التاريخي يرتبط بالميدان التجاري والفلاحي؛ وبالضبط بتحديد مساحة الأرض وحدودها في سياق البيع والشراء، حيث ورد في الوثيقة ما مضمونه: "بإذن (...)، ابتاع بحول الله وقوته التاجر (...) من البائع له (...)، جميع ربع نصف **أصلاليب**، الذي يحده قبلة حقلة (المقصود الحقل) محمد في البعض (...) حقلة (...)، وغربا السكة (...)، ويمينا السكة (المقصود الزقاق) الأخرى (...)"[34].

---

[31] – تُعد اللغة المستعملة في الوثائق إشكالية تناولها العديد من الباحثين في الحقل التاريخي المغربي، من بينهم الباحث والمفكر عبد الله العروي، الذي نادى بإقرار دراسة اللهجات وفق توزيعها الجغرافي وتطورها الزماني ... ، وتُعد الفيلولوجيا (علم اللغات) في هذا السياق من بين العلوم المساعدة للتاريخ؛ فلفهم نص تاريخي، ينبغي أولا معرفة اللغة التي كُتب بها، إذ تُعد كل كلمة، بمثابة فكرة مُركبة ذات دلالات ومعان متعددة تختلف باختلاف الزمان والمكان. وبناء على ذلك، يتعين على الباحث بمجال وادي نون ومحيطه القبلي، الإلمام بمختلف الظروف اللغوية واللسانية، من قبيل معرفة مؤلفي الفترة التي يدرسها من حيث اللغة وأسلوب الكتابة الخاصة بكل واحد منهم، فضلا عن إدراك أن تفسير كل كلمة أو جملة، لا يكون مفردا أو منفصلا، بل يتم وفق المعنى العام للنص التاريخي وسياقه.

[32] – من خلال التداول المستمر لوثائق مجال وادي نون ومحيطه القبلي، يتعين على الباحث والمتعلم أن يتمكن من التمييز بين مختلف الخطوط اللغوية التي كُتبت بها النصوص التاريخية، نظرا لتباينها وصعوبة فهم بعضها، وهو ما يستدعي الاستعانة بمتخصصين لقراءتها وإعادة نسخها، بما يُتيح إنتاج معرفة تاريخية علمية.

[33] – تتغير معاني المفاهيم بمرور الزمن، ولذلك يتعين إرجاعها إلى الفترة التي تنتمي إليها، أي إلى السياق التاريخي الذي يتحدث عنه النص الأصلي، قصد تفادي الوقوع في الخلط وسوء فهم البنى التاريخية، نتيجة اسقاط ثقافة الحاضر على ثقافة الماضي، وهو ما يؤثر سلبا في دراسة الإشكالية العلمية المطروحة.

[34] – وثيقة تاريخية بحوزتنا، مؤرخة بيوم 10 جمادى الثانية عام 1360 هـ، الموافق لسنة 1941م.

كما يجب على دارس النص أو الوثيقة بمنطقة وادي نون ومحيطها القبلي، حتى يستقيم البحث التاريخي ويتصف بالموضوعية والعلمية، أن يتمتع بالقدرة على التمييز بين النصوص التاريخية من حيث مضمونها، وبعدها المجتمعي[35]، وفترتها الزمنية[36]، وهوية التوقيعات[37] التي تتذيلها، وهوية الخواتم التي تتخللها[38]، وهوية القبيلة أو المكان أو الجهة الصادرة عنها[39] إن أمكن ذلك، لا سيما في ظل غياب مثل هذه المعطيات الهامة لأسباب متعددة، خاصة السياسية والاجتماعية.

إضافة إلى ذلك، ينبغي العمل على تحديد ومعرفة أصحاب النصوص التاريخية، لا سيما العدول والموثقون، بمن فيهم العديد من التجار الذين كانوا يُوثقون المواد التجارية المتعامل بها، وما يتخلل معاملاتهم من أمور أخرى مرتبطة بمختلف البنيات القبلية. ويسهم ذلك كله في التأكد غالبا من زمن الوثيقة والظروف والسياق الذي أنجزت فيه، وكذلك من صدق مضمونها وعدم تعرضه للتحريف أو التزوير، أو النسخ الذي قد يطال النص الأصلي، مع الاستناد إلى كاتبه وما عُرف عنه في ميدان التاريخ ولدى الباحثين والمتخصصين[40]، وإلى أهم الرواة الذين يُعتمد عليهم في جمع الروايات الشفهية وتحقيقها، بما يسهم في إدراك وفهم ووصف وتحليل وتركيب البنيات والأحداث المرتبطة بها.

---

35 – يُدرس النص التاريخي في مجال وادي نون ومحيطه القبلي من زاوية البعد المجتمعي، وذلك من خلال القدرة على تفسير الحياة المادية والذهنية للمجتمع وتحولاتها عبر الزمن، سواء على المستوى السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي ....

36 – إن العديد من النصوص التاريخية في منطقة وادي نون ومحيطها القبلي، على اختلاف أنواعها، تُغفل التصريح بالتاريخ أو بزمن الحدث الذي تتحدث عنه. وبناء على ذلك، يُمكن للمؤرخ والباحث، من خلال نوع الخط ونوع الحبر المستعمل، ونوع الورق وحجمه ومقاسه – إذا كان مُطلعا على الوثيقة التاريخية الأصلية – ، أن يُحدد التاريخ إما بشكل قاطع، أو بشكل تقريبي، مما يُتيح له وضع النص في سياقه التاريخي عبر تحديد أسبابه ونتائجه.

37 – يُعتبر **التوقيع**، إشكالية تعترض دراسة العديد من الوثائق والنصوص في منطقة وادي نون ومحيطها القبلي، إذ يكون إما مُنعدما أو غائبا، أو حاضرا في شكل اسم صاحب النص التاريخي، ولكن بأسلوب وطريقة يصعب فهمهما وقراءتهما وتحديدهما بسهولة، مما يزيد من صعوبة التفحص والتدقيق، ويؤدي بالتالي إلى استبعاد الوثيقة أحيانا، والانتقال إلى دراسة غيرها لإتمام أو إنهاء البحث العلمي قيد الإنجاز والمعالجة.

38 – سواء كانت رسمية تابعة لأجهزة الدولة، أو خاصة تعود إلى القبائل والقواد والعدول وغيرهم، فقد كانت هذه الخواتم تقوم أحيانا مقام التوقيع الخطي، كما كانت تدل على هوية الدولة أو القبيلة أو العشيرة أو غيرها على المستوى الاقتصادي والسياسي والثقافي، مما يمنحها صفة الوجود الفعلي والحقيقي على أرض الواقع، في هذا المجال أ ذاك، وفي علاقتها بالآخر ومختلف الظروف. وفي حالة تعذر فهم الخواتم ومضمونها، يتعين على الباحث والمؤرخ الإلمام بما يسمى بعلم "الرنوك"، الذي يهتم بدراسة الشعارات والعلامات التي كانت تظهر على الخواتم والملابس وغيرها، لكون هذا العلم، يُساعد أيضا على تحديد الزمن والمجال الجغرافي المعنيين، وكذلك تحديد صاحب الوثيقة، خاصة إذا تم ربطها بمضامين وثائق مقارنة وبالذاكرة الشفهية.

39 – على الباحث في تاريخ منطقة وادي نون ومحيطها القبلي، تحديد مصادر وثائقه ونقدها، وذلك ليتسنى له تمحيص أخبار الماضي وفهمها وتفسيرها وإعادة تركيبها، وبالتالي، التمكن من حماية مادته المعرفية العلمية من الوقوع في الأخطاء والوصول إلى نتائج زائفة نتيجة نصوص مزيفة ومنحولة .... ويضطلع البُعد المكاني في النص التاريخي بمنطقة وادي نون ومحيطها القبلي، بأدوار مهمة في الرقي بالحث العلمي والأكاديمي؛ حيث يُسهم في تحديد وضبط وفهم الإشكالية وأهم الأحداث المراد دراستها ومناقشتها، إضافة إلى دوره في تحديد أصل ومصدر الوثيقة التاريخية ومفاهيمها، وتوطين أعلامها البشرية والجغرافية ... .

40 – يعتبر التساؤل عن هوية مؤلف الوثيقة أو كاتبها، من الاشكالات التاريخية المهمة جدا؛ حيث ينبغي التعريف به وبقيمته العلمية والأخلاقية، ودرجة اتصاله بحدث النص ومعاصرته له، أو بالأحرى بمجمل أحداث المجال الجغرافي الذي ينتمي إليه (شاهد عيان، عدول، مالك مذكرات، قائد قبلي أو مخزني ...)، لأهمية ذلك كله في تحقيق النص التاريخي وإضفاء الصبغة العلمية عليه، وتحديد سياقه.

وتجذر الإشارة إلى أن إشكالية تحديد ومعرفة وتحقيق هوية صاحب النص التاريخي، وأهميته ودوره في توجيه الأحداث في المجتمع الصحراوي من قبل الباحثين في منطقة وادي نون ومحيطها القبلي، هي نفسها التي ركزت عليها شخصيات الوثائق التاريخية، باعتبارها شخصيات مشاركة ومعنية بالحدث، ونورد في هذا السياق ما ورد في إحدى الوثائق التاريخية (وثيقة تاريخية بحوزتنا) من نصها:

"لا يبقى من أيام الذي كان بينه وبين أخينا عالي قليل ولا كثير، أن يبعثوا لي به بخط الشهود الثقات (المقصود: التقاة) المعرفين خطوطهم بعد إخباركم لي في الدبيش، وأنا لا أنتظر إلا جوابكم".

المصدر: رسالة من التاجر إبراهيم بن محمد العريبي بتنبكتو إلى التاجر محمد بن العريبي بأكلميم، حاضرة مجال وادي نون، حول بعض المعاملات والقضايا التجارية التي جمعت بينهما، بتاريخ 26 ربيع الثاني عام 1334 هجرية.

ث) – آليات الحفاظ على النص التاريخي بمنطقة وادي نون ومحيطها القبلي، وسبل تثمينه:

تحتاج النصوص التاريخية بمنطقة وادي نون ومحيطها القبلي إلى إنقاذها من الضياع[41]، الناتج خاصة عن الخرم والأرضة[42] ومختلف التأثيرات الجوية والبيئية، فضلا عن سوء التعامل معها وكثرة تداولها؛ وذلك نتيجة اللمس غير السليم الذي تتعرض له الوثائق أثناء الاطلاع على مضامينها من طرف بعض الباحثين، إذ يجهل عدد منهم أساليب وتقنيات التعامل مع الوثائق الأصلية، ولا سيما تلك التي توجد في حالة فيزيائية هشة وضعيفة جدا. ومن تم، يتعين العمل على تعقيم هذه الوثائق ومعالجتها كيميائيا (من خلال التغليف – سد الثقوب التي تتخلل أوراق الوثائق التاريخية ...)، ضمانا للحفاظ عليها وتثمينها، واستدامة وجودها بالخزائن العامة والخزائن الخاصة، بما في ذلك أرشيف عدد من الأسر التي تتوفر على رصيد وثائقي مهم بمجال وادي نون ومحيطه القبلي.

إلى جانب ذلك، يجب إنقاذ النصوص التاريخية بهذا المجال الصحراوي من الجهل والأمية، اللذين مازالا مُرتبطين بمضمون الوثائق وأشكالها وأنواعها والرموز التي تتخللها؛ إذ تُفصح العديد من الروايات الشفهية بمجال وادي نون ومحيطه القبلي، عن اشكالية ربط هذه المصادر التاريخية الثمينة بمجموعة من المعتقدات الشعبية، وبأماكن وجود الكنز، وبمسألة تحديد الأملاك العقارية وعدد نوبات الماء، وما يترتب عن ذلك كله من نزاعات مُتعلقة بتحديد التركة وضبط موضوع الإرث، أو ما شابه ذلك من صراعات أخرى داخل المجالات القبلية لوادي نون والأطلس الصغير الغربي، اللذين تربطهما علاقات تاريخية مهمة ومتنوعة ما تزال في حاجة إلى مزيد من البحث والتقصي التاريخي، وبالتالي، فإن تظافر الجهود الجماعية من لدن الباحثين والمتخصصين في التاريخ وغيره، أصبح ضرورة مُلحة لصيانة التراث الثقافي وتوثيقه، وحماية النصوص التاريخية، وإنقاذها من الضياع والسرقة بمختلف أشكالها[43]، لما لذلك من أثر سلبي يتمثل في فقدان السياق التاريخي لعدد من معطياته وظروفه العلمية التي من شأنها إغناء البحث العلمي.

وفي هذا الإطار المتعلق بحماية وحفظ النص التاريخي من مختلف أشكال الضياع، يُعد توظيف الوسائل التقليدية[44] والوسائل التكنولوجية، وتعميق المعرفة العلمية بها[45]، من أجل حفظ الوثائق التاريخية لوادي نون وغيره، أمرا

---

41 – تجدر الإشارة، بخصوص هذه الإشكالية العلمية، إلى أن العديد من النصوص والوثائق التاريخية في منطقة وادي نون ومحيطها القبلي، قد تعرضت في ما مضى لمختلف أنواع التلف والإهمال، ولم يُعد لها وجود إلا في الذاكرة والروايات الشفهية المتداولة من جيل إلى آخر؛ إذ كانت صلاحية مجموعة من الوثائق التاريخية، تنتهي بانتهاء مفعول مضمونها ودورها على أرض الواقع، كما هو الحال بالنسبة لعدد الوثائق التجارية التي كانت تُعرض للقطع أو الحرق أو ما شابههما، بمجرد انتهاء عمليات البيع والشراء في الأسواق والمواسم وأهم المراكز ذات الصيت الاقتصادي، وهذا ما تؤكده بعض الروايات الشفهية الخاصة بفترة القرن 19م.

42 – إن الحالة المادية لمجموعة مهمة من الوثائق والنصوص التاريخية في منطقة وادي نون ومحيطها القبلي (خزائن مجال وادي نون – خزانة دار إليغ بتازروالت بالأطلس الصغير الغربي – خزائن مجال باني ...)، تتراوح بين حالة جيدة تسمح بالقراءة واستخلاص المعاني التاريخية، وإعادة توظيفها وتركيبها في إنجاز الأبحاث والدراسات العلمية وتقييمها، وحالة رديئة نتيجة الأضرار التي لحقت بها من خرم وأرضة أو غيرهما، مما جعل استثمارها صعبا في كتابة وإعادة كتابة التاريخ المحلي أو الجهوي لهذه المنطقة الصحراوية المغربية.

43 – حماية النصوص التاريخية وتوثيقها في منطقة وادي نون ومحيطها القبلي، ينبغي أن يتم عبر تفعيل مدونة تشريعية قانونية وتنظيمية، والعمل في الوقت نفسه، على تنمية الوعي الوثائقي الهادف إلى بعث الحياة في آلاف الأوراق التاريخية، إضافة إلى ضرورة تشجيع مالكيها على تقديمها، أو على الأقل نسخا منها، إلى المؤسسات والمراكز المعنية بعلم التاريخ، قصد جمعها وحفظها وتصنيفها وفهرستها وفق أسس علمية وآليات عمل تراعي الدقة والموضوعية التاريخية.

44 – يقصد بالوسائل التقليدية لحفظ النصوص التاريخية، على اختلافها، التقيد بشروط ما يُسمى بـ "**علم الوثائق**"، الذي يهتم بالتوثيق، ويُنظم الوثائق ويُصنفها (حسب: الزمن والمكان والموضوع، ونوعيتها خاصة أو عامة، ...)، ويُرتبها ويُفهرسها، ويجمعها في مُجلدات أو قوائم أو غير ذلك، للرجوع إليها كلما اقتضت الضرورة ذلك، وفق شروط علمية وظروف سهلة ومُيسرة تُشجع على البحث العلمي الأكاديمي.

45 – لن تتأتى إمكانية تعميق وتوظيف المعرفة المعلوماتية في الميدان التاريخي في منطقة وادي نون ومحيطها القبلي، إلا من خلال استفادة العاملين والباحثين والمهتمين بتاريخ المنطقة وبحماية التراث الثقافي من دورات تكوينية دورية ومنتظمة، إلى جانب العمل على تبادل الخبرات التكنولوجية

مهما وضروريا، على غرار ما تم ويجري العمل به في الدول الغيورة والحريصة على ماضيها وتراثها، إذ ينبغي الاستعانة بالحواسيب والأدوات الرقمية وغيرها للحفاظ على الوثائق، وتطوير طرق الاطلاع عليها (تحويل الوثائق إلى صور رقمية على شكل ميكروفيلم ... – الاستعلام عن الوثائق بالكلمات المفتاحية – عرض الوثائق بسرعة معلوماتية – الفهرسة والتصنيف والترتيب ...)، وتوظيفها أحسن توظيف في كتابة أو إعادة كتابة تاريخ هذه المنطقة الصحراوية، التي عرفت بنياتها المختلفة عدة تحولات جذرية منذ أمد بعيد، خاصة منذ القرن الخامس عشر الميلادي إلى حدود منتصف القرن العشرين، فقد تعرضت هذه المنطقة للتدخل الاستعماري، الذي أحدث تغييرا بنيويا مهما وملحوظا على مختلف المستويات، وما تزال هذه التحولات تُشكل مادة علمية غنية للباحثين، قصد دراستها وتحديد علاقتها بالتاريخ الوطني ككل.

خلاصـــة:

ختـامـا، لن يستطيع المؤرخ والباحث في منطقة وادي نون ومحيطها القبلي، التمكن من المعرفة التاريخية والمنهجية المساعدة على إنتاجها، إلا بعد المرور بتجربة علمية غير يسيرة، يتخللها التناول والتداول المستمر لمختلف أنواع الوثائق والنصوص، إلى جانب الإلمام بأحداث تاريخ هذه الفترة أو تلك، اعتمادا على شتى المصادر والمراجع والدراسات، وهو ما يُتيح للمؤرخ والباحث لاحقا القدرة على استنتاج واستنباط وفهم المعنى التاريخي للوثائق، وتوظيفه على الوجه الأمثل في إنجاز الأبحاث العلمية، وفي تطوير العملية التعليمية التعلمية بمختلف الأسلاك التربوية، ولا سيما عند التعامل مع النصوص التي لا تحترم أدوات الترقيم، أو التي تتضمن فراغات إما مقصودة أو مبتورة لأسباب متعددة، كما أشرنا إلى ذلك آنفا، إضافة إلى النصوص التاريخية الأخرى التي تحتوي على جمل أو كلمات أو الفاظ غير معروفة، سواء على المستوى البشري أو الجغرافي أو غيرهما، مما يزيد من صعوبة استكمال فهم الحدث أو الظاهرة، وهو ما يفرض في مثل هذه الحالات العلمية، البحث عن مزيد من الروايات الشفهية والوثائق المكتوبة التي لم يُطلع عليها بعد، قصد استكمال المعنى ووضعه في سياقه، وربطه بالتاريخ الشمولي للبلاد، بهدف تأكيد الروابط القائمة في كل فترة زمنية على حدة، وتبيان دورها في تحقيق التلاحم وتأكيد ترابط مختلف البنيات وتطورها، سواء على المستوى المحلي، أو على المستوى الوطني.

إن الإلمام بالمقاربة المعرفية والمنهجية المرتبطة بتناول مختلف النصوص التاريخية في منطقة وادي نون ومحيطها القبلي، يسمح بإعادة إنتاج الوثيقة وإحيائها من جديد، مما يُفضي إلى سهولة وقابلية توظيفها في المتن أو البحث التاريخي العلمي، الذي يصبو إلى مُعالجة حدث أو ظاهرة تاريخية معينة يُستفاد منها في الحاضر والمستقبل، بمعنى آخر، يتمثل ذلك في العمل على تحقيق الوثيقة ودراستها دراسة علمية أكاديمية، بدءا من الاستئناس بها وفهم مضمونها، وتحديد نوعيتها وظروفها الزمانية والمكانية، وصولا إلى الوقوف على أهميتها العلمية على المستوى التاريخي، ودورها في إغناء هذا الحقل وغيره من الحقول المعرفية الأخرى، وذلك من خلال إبراز المستجدات التي أتت بها باعتبارها معطيات قابلة للنقاش والنقد العلمي.

والمعرفية والمنهجية مع مختلف المتدخلين، عبر ندوات ومشاركات محلية ووطنية ودولية، وهو ما من شأنه الإسهام في تحقيق عدة أهداف، من أهمهـــا:

← التمكن من آليات الخزن الآلي المعلوماتي للنصوص التاريخية، وضمان تأمينها بصيغ تكنولوجية وتقنية وبرامج مُتعددة تُتيح سهولة الاطلاع والتوظيف والفهرسة ... ؛

← التمكن من المعارف التكنولوجية الخاصة بفحص الوثائق التاريخية، من حيث الشروط والضوابط العلمية الواجب توفرها في مختلف النصوص التاريخية الأصلية؛ كالتأكد من عدم تزويرها أو كونها وثائق منحولة (انتحل – ينتحل – انتحالا – فهو منتحل –والمفعول منتحل – انتحل الشيء: ادعاه لنفسه وهو لغيره)، وبالتالي فالاستعانة بالخبراء والأجهزة التقنية ...، تظل كفيلة بالمساهمة في كتابة التاريخ أو إعادة كتابته وتركيبه من جديد؛

ورغم ما قد يشوب المضمون أو التحليل المتوصل إليه من نقص أو نواقص، نتيجة محدودية المادة الخام المتوفرة، فإن ذلك يظل في انتظار الحصول على معطيات أخرى من شأنها أن تجعل علم التاريخ علما مُتجددا ومُتحركا في الزمان والمكان، وهي الاشكالية التاريخية العامة التي يمكن للباحث والمؤرخ تناولها، أو الإشارة إليها في الدراسة التاريخية قيد الإجراء والإنجاز، حتى يتسنى لبقية الباحثين إعادة البحث فيها، ومحاولة الإجابة عنها من خلال العمل بمفهوم "**التأويل**"، والاستعانة بمجموعة من المصادر والمراجع، ومقارعتها ومقارنتها بمضامين وثائق الفترة التاريخية نفسها، قصد تدارك هذه النواقص التي يمكن تجاوزها باتباع مثل هذه المقاربة المنهجية والمعرفية التي يجب الأخذ بها بدقة وحرص علمي شديد.

إن هذا المقال العلمي الذي يتمحور حول موضوع ضرورة التمكن من مقاربة معرفية ومنهجية، تُساعد على التعامل العلمي مع النص أو الوثيقة التاريخية مهما كان نوعها في مجال وادي نون ومحيطه القبلي، يهدف أيضا إلى إخراج التاريخ المحلي والجهوي من سجن الماضي أو غياهب النسيان، ومن متاهة التحليل والتفسير والتأويل غير العلمي أو غير المنطقي، الذي كان يخدم إيديولوجيات[46] معينة، وأهدافا استعمارية سائدة حتى اليوم القريب. كما يسعى هذا المقال أيضا إلى محاولة إعادة كتابته (التاريخ المحلي والجهوي)، خاصة على المستوى السياسي المرتبط بالدولة المغربية في علاقاتها مع مختلف الدول، بما فيها الدول الافريقية، حيث تتم العودة إلى علم التاريخ قبل كل شيء لتمتين الروابط وتقويتها أكثر مما كانت عليه من قبل.

وهذا ما يحتم ضرورة توظيف النص أو الوثيقة التاريخية بشكل علمي، يخدم مُجمل مصالح الوطن، ويعمل على إثبات هويته السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والثقافية، دون انقطاع في الزمن أو المكان.

ولن تتحقق هذه المقاربة التاريخية على المستوى المنهجي والمعرفي بشكل ايجابي، إلا بعد تطبيق جهوية موسعة على المستوى الثقافي، يُعطى فيها للتاريخ أهمية واضحة، تكمن في استحداث مراكز تربوية وتعليمية فعلية، وخزانات تعنى بحفظ وجمع وتصنيف ودراسة وتحقيق النصوص والوثائق المحلية، بدلا من إبعادها عن مجالها الأصلي الذي تنتمي إليه باتجاه خزانات مركزية، تحت ذريعة الجمع والحفظ، مما يُبعدها ويفصلها عن المجال والبنية الفكرية التي ولدت ونشأت فيها.

ففي هذه البيئة تُتاح للمؤرخ والباحث إمكانية فهم النصوص وتفسيرها وتأويلها واستثمارها بشكل صحيح، انطلاقا من المصدر والأصل[47]. وفي هذا الصدد، لن تكون الجامعات الجهوية المحلية حسب تعبيري، بنظامها التعليمي البيداغوجي المتجدد، بالإضافة إلى المراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين، في منأى عن هذا التوجه العلمي والأكاديمي، بقدر ما ستكون فاعلة وموجهة له، سعيا إلى ايجاد حل نهائي، إن صح القول، لإشكالية دراسة وتناول النصوص المغربية بكافة أنواعها.

إن البحث وتطوير التاريخ، انطلاقا من المجال المحلي / الجهوي باتباع مقاربة معرفية ومنهجية علمية ورصينة، لا يعني الفصل الثقافي على المستوى التاريخي بين "**الهامش**" و "**المركز**"، بقدر ما يتعين أن يكون المجالان في تعاون

---

[46] – على الباحث في تاريخ منطقة وادي نون ومحيطها القبلي، أن يدرس الحقيقة التاريخية بموضوعية وبعيدا عن الذاتية، وذلك بربطها بدليل مكتوب أو دليل مادي ملموس؛ أي بالتوصل إلى استنتاجات عن طريق تحر حيادي وعلمي، يُتيح للباحثين في مختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية إخضاعها للبحث والنقد والمناقشة.

[47] – إن دراسة النصوص التاريخية، تقتضي عدم تجريد مادتها المعرفية من زمانها أو من الحضارة أو المكان اللذين أُنتجت فيهما؛ إذ إن كل تجريد من هذا القبيل لمعناها ومغزاها الصحيحين، يقود إما إلى فهم جزئي للظاهرة التاريخية، أو إلى سوء فهم كلي لها.

واتصال متين لا يضر أي منهما الآخر؛ إذ يجب أن يسعيا إلى ضبط وتقنين المعاملات الثقافية والفكرية بينهما، مع مراعاة الشروط التي تعمل على ترسيخ البنود والقوانين، لتصل في النهاية إلى ضبط الحدث أو الظاهرة التاريخية، وإبراز دورها في ترابط مختلف بُنى المغرب ككل.

وفي الأخير، سعيا إلى تحقيق جهوية موسعة تعود بالنفع على المعرفة التاريخية ومنهجها العلمي بمنطقة وادي نون، نقترح، بتنسيق وعمل مع بعض المراكز والجامعات، بالإضافة إلى مؤسسات أخرى على المستوى المركزي (أرشيف المغرب – الخزانة الحسنية – المديرية الملكية للوثائق – خزائن خاصة ...)، تأسيس معهد جهوي أو ما شابهه (منظمة – أكاديمية – مركز ...)، توكل إليه مهمة التعامل المنهجي والمعرفي مع مختلف النصوص التاريخية، سواء المحلية منها، أو الوطنية، أو الأجنبية التي تناولت تاريخ منطقة وادي نون ومحيطها القبلي.

وإلى جانب ذلك، ينبغي العمل في الوقت نفسه على عقد اتفاقيات وشراكات ثقافية وفكرية، تتبنى مشاريع علمية وأكاديمية هادفة، يكون المؤرخ والباحث والمتعلم المحلي محورها، بهدف ضبط التاريخ الجهوي والبحث في العلاقات التي ربطته بما هو وطني ودولي عبر التاريخ، وذلك بعيدا عن النقص أو التأويل الخاطئ، أو النقد غير العلمي الذي شاب كتابات من سبقونا إلى دراسة هذا المجال الصحراوي.

البيبلوغرافيا

❖ الوثائق التاريخية:

✓الوثيقة رقم: 13، المجلد 01، مُصنفة بخزانة دار إليغ، فرع إنزكان، تحت إشراف الأستاذ بودميعة البخاري (الموضوع: التدخل الأوروبي في سواحل الجنوب المغربي بتاريخ 22 ذو الحجة 1278 هـ، 1862م).

✓وثيقة مُصنفة بخزانة دار بيروك بأكلميم: رسالة من السلطان المغربي إلى القائد دحمان بن بيروك الوادنوني، مؤرخة بيوم 20 صفر الخير عام 1326 هجرية / 1908 ميلادية (الموضوع: تدخل السلطة المخزنية المغربية لمواجهة الضغوط الأوروبية في منطقة وادي نون خلال بداية القرن العشرين الميلادي).

✓وثيقة مُصنفة بخزانة دار بيروك بأكلميم: مؤرخة بيوم 10 جمادى الثانية عام 1360 هجرية / 1941م (الموضوع: تحديد مساحة الأرض وحدودها بمنطقة وادي نون، قصد اتمام عمليتي البيع والشراء).

✓وثيقة حصلنا عليها من عند الحاج الشيخ محمد أمنكار الأمتضيي (نسخة من الوثيقة مدرجة في المتن أعلاه)، يتعلق موضوعها بمعلمة أكادير ايصضار التاريخية بواحة أمتضي شرق منطقة وادي نون، وذلك من خلال المسماة "الزهرة بنت عبد الله أبو مسعود" التي تصدقت على إبنها "محمد بن محمد بن براهيم الأمتضيي الأمريري" بجميع صداقها المترتب في ذمة أبيه الهالك عنها. الوثيقة مؤرخة بفاتح جمادى الأولى عام 1172 هـ، الموافق لسنة 1758م.

❖ المصادر والمراجع المعتمدة:

أ) – باللغة العربية:

✓ابن عبد الله (عبد العزيز)، **الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، معلمة الصحراء**، ملحق01، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، نشر: مطبعة فضالة، صفر 1396 هـ – فبراير 1976م.

✓أمزيغ عبد اللطيف، **العمارة التاريخية بمنطقة وادي نون ومحيطها القبلي**، رسالة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، تحت إشراف الدكتور عز الدين بو النيت، جامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، الموسم الجامعي 2008م – 2009م.

✓أمزيغ عبد اللطيف، **وادي نون خلال القرن التاسع عشر، دراسة في البنية الثقافية والاجتماعية والتجارية، "أسرةآل بيروك نموذجا"**، أطروحة الدكتوراه في التاريخ تحت إشراف الدكتورين بوجمعة رويان، عبد العزيز بلفايدة، جامعة ابن طفيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، موسم2017م / 2018م.

✓البكري (أبو أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد عبيد الله)، **المسالك والممالك**، الجزء الثاني، تحقيق وفهرسة الدكتور جمال طلبة، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1424هـ/ 2003م.

✓بوزنكاض محمد، **دراسة في التاريخ الاجتماعي للصحراء الأطلسية ما بين القرنين 17 و 20**، الناشر: مركز الدراسات والأبحاث "مشاريع" (مدينة أسا)، المطبعة والوراقة الوطنية، زنقة أبو عبيدة، الحي المحمدي الداوديات، مراكش، الطبعة الأولى، 2012م.

✓التوفيق (أحمد)، **المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (اينولتان 1850م/ 1912م)**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، أطروحات ورسائل، رقم 01، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية 1403 هـ / 1983 م.

✓جرمان عياش، **دراسات في تاريخ المغرب**، نشر الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط، 1986م.

✓حنداين محمد، **المخزن وسوس، (1672 م / 1822 م)، مساهمة في دراسة تاريخ علاقة الدولة بالجهة**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة الأولى، يوليوز 2005م.

✓سعودي نور الدين، **ظاهرة "السيبة" في مغرب القرن التاسع عشر، أطروحات حول السيبة**، مجلة دار النيابة، مجلة فصلية وثائقية دراسية تعنى بتاريخ المغرب، طنجة، المغرب، العدد 09، 1986م.

✓السوسي (محمد المختار)، **المعسول**، الجزء: 19، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1960م – 1963م.

✓السوسي (محمد المختار)، **خلال جزولة**، الجزء الثالث، الطبع بالمطبعة المهدية، تطوان، المغرب.

✓العروي (عبد الله)، **مجمل تاريخ المغرب**، الجزء الأول، منشورات المركز الثقافي العربي، الطبعة الخامسة، 1996م.

✓العروي (عبد الله)، **مفهوم التاريخ، المفاهيم والأصول**، الجزء الثاني، ، منشورات المركز الثقافي العربي، الطبعة الرابعة، 2005م.

✓المراني (محمد)، **الدور السياسي والاقتصادي لمنطقة وادي نون في القرن الخامس الهجري**، أعمال ندوة واحات وادنون بوابة الصحراء المغربية، أيام 9 و10 و11 نونبر 1995م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر– أكادير، مطبعة الهلال العربية للطباعة والنشر بالرباط، الطبعة الأولى، 1999م.

✓ناعمي (مصطفى)، **الصحراء من خلال بلاد تكنة، تاريخ العلاقات التجارية والسياسية**، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، مطبعة عكاظ، الرباط، 1988م.

✓الوزان (الحسن)، **وصف إفريقيا**، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، الجزء الثاني (02)، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1983م.

ب) – باللغة الأجنبية (الفرنسية والإسبانية):

✓De La Chapelle (Frédéric), **Les tekna du sud Marocain: Etude géographique, Historique et sociologique**, Publications du comité de l'afrique française, Paris 1934.

✓Montagne Robert, **Les Berbères Et Le Makhzen Dans Le Sud Du Maroc, Essai sur la transformation politique des Berbères sédentaires (groupe chleuh).** Ed Alcan , Paris, 1930.

✓Monteil (Vincent) , **Notes sur les Tekna**, Editions larose, 11 rue victore _cousin 11, paris **(**Ve**)** ,1948.

✓Du Puigaudeau (Odette) , **Arts et coutumes des maures**, Hespéris-Tamuda, Publié avec le concours du centre universitaire de la recherche scientifique, Vol IX. - Fascicule 1, 22. rue, du Béare, Rabat , 1968.

✓Gatell (Joachim), **L'oued –Noun et le tekna à la côte occidentale du Maroc**, IN: Bulletin de la société de géographie (B.S.G), Paris, Octobre 1869.

✓Barbier (Maurice), **Voyages et explorations au sahara occidental au XIXe siècle,** Editions l'harmattan, 7, Rue de l'école-polytechnique 75005, Paris, 1985.

✓Panet (Leopold), **Première exploration du Sahara occidental, Relation d'un Voyage du Sénégal au Maroc en 1850**, Le livre africain, Paris, 1968.

✓Alonso (Del Barrio José Enrique), **Las tribus del sahara**, El Aaiun : Servicio de publicaciones del gobierno general de sahara, 1973.

✓Clemente (Manuel Mulero), **Los territorios españoles del Sahara y sus grupos nómadas,** Las palmas, 1945.

✓Miege (Jean Louis), **Le Maroc et l'Europe (1830 – 1894),** Edition la Porte, Rabat, 1989.

✓ Montagne (Robert), **Les berbères et le makhzen dans le sud du Maroc**, essai sur la transformation politique des berbères sédentaires (groupe chleuh), Ed Alcan, Paris, 1930.

✓ Ennaji (Mohamed) et Pascon (Paul), **Le Maghzen et le sous Al-Aqsa, la correspondance politique de la maison d'Iligh (1821-1894),** Ed. du C.N.R.S (centre national de la recherche scientifique), Paris et Toubkal, casablanca, maroc, 1988.

✓ Pascon (Paul), (avec la collaboration de A. Arrif, D. Schroeter, M. Tozy, H. Van Der Wusten), **La maison d'Iligh et l'histoire sociale du Tazerwalt**, Ed. Société marocaine des éditeurs réunis (S.M.E.R), Rabat, 1984.

✓Léopold Justinard Colonel , **Notes D'Histoire Et De Littérature Berbère, Les Haha Et Les Gens Du Sous** , In Hespéris –Tamuda, Archives berbères et bulletin de l'institut des hautes études-marocaines, T 8, 1928, 3° – 4° Trimestre.